الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون-تيارت

ملحقة قصر الشلالة.

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر الطور الثاني ل. م. د في تاريخ المغرب العربي المعاصر

تحت عنوان:

حقيقة الصراع بين جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية (1919-1939م)

الطالبة:

شيماء زبوج

إشراف:

الأستاذ شهدة محمد

رقم	الاسم والقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
1	ولد حمد عبد القادر	أستاذ محاضر أ	جامعة ابن خلدون تيارت	رئيسا
2	شهدة محمد	أستاذ مساعد أ	جامعة ابن خلدون تيارت	مشرفا
3	كيحل بشير	أستاذ مساعد أ	جامعة ابن خلدون تيارت	مناقشا وممتحنا
4	لحسن براهيم	أستاذ مساعد أ	جامعة ابن خلدون تيارت	مناقشا وممتحنا

السنة الجامعية: 1443-1444هـ/2021-2022

شكر وعرفان

"فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) " سورة النمل الآية 19.

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات من الأعمال...
الحمد الله رب العالمين قيوم السماوات والأرض مانع العباد بنعمة العقل والتفكير...
فكل الشكر لله عز وجل لكل يليق بعظمته سلطانه وجلال وجهه الكريم على ما وفقني إليه...
كما اتفضل بالشكر الجزيل الى كل من ساندني في إنجاز عملي واخص بالذكر "الاستاذ المشرف شهد مُحَمَّد"...
كما لا أنسي كل من قدم يد العون من الأساتذة التخصص والى كل من قدم لنصيحة وتكرم علي بمعلومة...
كما لا انسى كل من شجعني ولو بكلمه وخاصة بالدعاء الى كل هؤلاء جميعا كلمة الشكر والعرفان لتعاونهم معي...

شكرا...

اهداء

{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً} سورة الاسراء 23.

أهدي ثمره جهدي الى أغلي انسان على قلبي في هذه الدنيا صاحب القلب الكبير الذي عمل وكد وجد

وتحدى كل الصعوبات حتى وصلت الى هدفي هذا الى ابي الغالي طال الله في عمره " عبد القادر"...

الى التي حرمت نفسها لذه الحياة لتذوقها...الى التي لعبت جميع الادوار في حياتي، الى التي أنارت دربي بدعائها ورضاها،

الى التي حرست على مستقبلي ودفعتني للعلم دفعه المخلصين....

الى التي حلمت دوما برؤيه ثمرة نجاحي، الى "امي الغالية" التي اعشقها فاحفظها يارب وأكرمني برضاه....

الى توأم روحي الحنونة ورجائي في شده وضيقي في الحياة اختي وحبيبتي "سليمة".....

الى رمز عزتي وكرامتي الى من جاهد في سبيل تحقيق احلام الى أخوي العزيزين سيدي احمد ومنصف شرف الدين....

الى روحي وعشقي لجين ومحمد هيثم....والى كل زميلاتي وزملائي لكل من عرفني من قريب او بعيد....

مقدمة

مقدّمة:

يحتل التصوف الإسلامي موقعا متميزا في الجزائر وتاريخها، وقد عرفه الجزائريون كتجربة فكرية وروحية خاصة، ثم ما لبث أن عرفوه كطرق ومنهج في الحياة، وهذا بداية من القرن التاسع عشر الذي شهد ظهور الطرق الصوفية وانتشارها بشكل واسع في مختلف أنحاء الجزائر وهو بهذا أسبق ظهورا ووجودا من جمعية العلماء المسلمين

وقد عاشت هذه الطرق ردحا من الزمن بلا منافس ولا معاكس ولم بعكر صفوها إلا الاستعمار الفرنس، الذي شنّ عليها حربا شعواء كبقية الجزائريين وكانت في الخطوط الأولى من المعركة منذ اليوم الأول فمقاومة الشيخ المقراني 16مارس 1871م والحداد 5ماي 1871م وغيرهم، ومنهم من ذكرهم التاريخ بإسهاب ومنهم من أغفلوا ذكر الكثير من مقاومته يعزوهم فقد المصادر أو ندرتها، وما أبقت عليه الحرب، لم يكن لينجو من مصيدة التدجين، أو التهجير والتفقير والتفريق والتخويف، وإلى غاية فترة الثلاثينيات من القرن الماضي شهدت الساحة فصلا جديدا من الصراع ولكن ليست بأيدي فرنسية، وانما بأيادي جزائرية ولكن فرنسا ليست بعيدة عن إذكاء مثل هذه النيران والمشاحنات، فتاريخ فرنسا في مثل هذه الأعمال معروف، وأمّا الأيادي الجزائرية فهم جمعية العلماء المسلمين (31مارس1931) التي تنشد التجديد والإصلاح وتقدم مشروعها الفكري المستنير كبدل لخط الطرقيين وربما قدمت نفسها كوريث لهم ونافستهم حاضنتهم الشعبية فساد الصراع والتوتر، ومن الطبيعي أنّ فرنسا ستكون حاضرة في هذا الصراع، وهو ما سيعقد المشهد كثيرا، وستكون له تداعياته على الجانبين بشكل خاص وعلى الحركة الوطنية بشكل عام.

وهو ما دفع الباحث للتصدي لهذا الموضوع وبيان ظروف وأسباب الصراع بين الطرقيين والإصلاحيين وأهم أحداثه وتفاصيله وارتداداته. ولذلك فإنه موضوع مهم وجدير بالاهتمام والدراسة في هذه الفترة من تاريخ الجزائر 1919- 1939 م

-إشكالية الدراسة وأهميتها:

لا شك أن ميدان العمل كان مشتركا بين الحركة الإصلاحية والطرق الصوفية وتكاد تكون المرجعية التراثية واحدة، فإلى ما يعود هذا الخلاف والصراع إذن؟ هل هو مردود الى الوسيلة والمنهج واختلاف في الأهداف؟ أم هو صراع من أجل النفوذ والبقاء؟ أم أنّ الاستعمار الفرنسي هو من زرع بذور الخلاف والشقاق، فمبدأ فرق تسد معروف لدى الاستعمار ولا يدخر جهدا في التفنن في تطبيقه وبشتى الوسائل، فالغاية تبرر الوسيلة؟ ثم ما هي ارتدادات هذا الخلاف على الطرفين والشعب ومسار الحركة الوطنية؟ ومن الفائز من كل هذا الصراع؟ وهل تمكن الطرفي من تجاوز خلافاتهما؟ وكيف؟

وهذه الإشكالية تتفرع الى تساؤلات الفرعية لعلّ من أهمها:

-ما هو تاريخ ظهور التيارات الطرقية والإصلاحية في الجزائر؟ وما هي أبرز أعلامها ومشايخها؟

-ما هي مبررات التصادم والصراع بين الطرفين؟ وماهي الوسائل والأساليب المستعملة؟

-كيف انعكس هذا الصراع على المشهد السياسي؟ وما موقف الاستعمار الفرنسي من ذلك؟

- **أهداف الدراسة:**

_ إبراز مظاهر العلاقة التاريخية بين الطرق الصوفية وجمعية العلماء المسلمين في الفترة (1919-1939م)

_ نقص الدراسات العلمية والأكاديمية المتعلقة بالموضوع من خلال الجرائد وان حدث فهي لم تلتزم الحياد.

_ تبيان دور كل من الطرق الصوفية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المسألة الاستعمارية سلبا أو إيجابا.

-حدود الدراسة: تمتد فترة البحث من 1919-1939م في الجزائر، إذ تعتبر من أهم فترات تاريخ الجزائري المعاصر، التي كانت فترة وسطى بين بداية الحرب العالمية الأولى وبداية الثانية، كما شهدت حلول سنة 1930م ويكون قد مر على التواجد الفرنسي بالجزائر قرنا كاملا، والزوايا وجدت قبل الاستعمار بكثير التي أُقحمت أو أَقحمت نفسها فيه وفي طيات هذا التاريخ نشأت معظم الجمعيات بشقيها الإصلاحي والسياسي، وعلى رأس الإصلاحية ومنها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي تأسست ونمت وتطورت، وعاشت في صراع مع الطرقيين وشهدت الكثير من الخلافات والتجاوزات وهي طاقة مهدورة في غير محلها.

-المنهج الدراسة: وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج التاريخي والمنهج الوصفي والمنهج التحليلي، وهي مناهج موائمة لدراسة الموضوع، تقوم بداية على جمع المادة التاريخية وفحصها ونقدها وتركيبها وتحليلها واستقراء الأسباب البعيدة والقريبة وصولا الى النتائج.

-الدراسات السابقة:

- عبد الكريم بوصفصاف: جمعية علماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الاخرى (1931- 1945)، الكتاب الدراسة.

- نور الدين أبو لحية الأول بعنوان جمعية العلماء المسلمين وتاريخ العلاقة بينهما والثاني جوانب الخلاف بين الجمعية والطرق الصوفية.

فبالنسبة لهذه الدراسات التي سبقت موضوعنا فاهتمت بدراسة جانب كل واحدة على حدى وكذلك تبيان الصراع من الناحية العقائدية فقط اما عن الجديد الذي درسناه وبمثابة متغير جديد من خلال غرض حقيقة الصراع بين الطرفين عن طريق الجرائد.

- **وصف موجز ونقدي لأهم المصادر والمراجع:**

- صحيفة جمعية العلماء المسلمين على رأسها الشهاب والبصائر.
- أحمد طالب الابراهيمي: آثار الامام البشير الابراهيمي.
- عمار طالبي: آثار الامام عبد الحميد بن باديس.
- عبد الرحمان بن براهيم العيون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة (1920 – 1936) رغم أن الكاتب كان من رجل الجمعية لكنه أنصف الطرق الصوفية في كتابه حيث نجد في جزئيه الخاص بانقسام جمعية علماء السنة عن جمعية العلماء المسلمين وذكر حجج كل الطرفين على عكس كتاب آثار الامام الابراهيمي.
- كتب أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي وهو أكثر الكتب التي تناولت الطرق الصوفية.

- **صعوبات البحث:** ومن أهم عدم تمكنني من الحصول على النسخ الأصلية للجرائد وكذا الوثائق الأرشيفية، والنسخ الإلكترونية المتوفرة غير واضحة ورديئة مما استلزم بذل الكثير من الجهد في القراءة لفك كلماتها وحروفها

-خطة البحث:

يتضمن محتوى بحثي على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وهي كالاتي:

-مقدمة الموضوع

-الفصل الأول: خصصنا لشرح المصطلحات وإعطاء بعض المفاهيم المتعلقة بالتيار بين الطرق الصوفية قدمت مفهوم التصوف وحدود انتشاره وعرفت بأهم الطرق الصوفية والمشايخ وكذا نشأت وجذورها في العالم الاسلامي وانتقالها للجزائر، اما بالنسبة للحركة الإسلامية قدمت جذوره ونشأته وعرفت بجمعية العلماء المسلمين من تأسيس الى القانون وصولا الى المشايخ والعلماء.

-الفصل الثاني: تطرقت في الفصل الثاني عن الصراع بين الصوفية وجمعية سلطت الضوء على بوادر ظهور الصراع بينهما واسبابه والدوافع التي ادت اليه مشكله في ذلك عنصر متمثل في وسائل الطرق الصوفية عن طريق الجرائد.

-الفصل الثالث: انتقلت فيه الى انعكاسات هذا التصادم والصراع وعلى كل من الطرق الصوفية والجمعية وكذا موقف فرنسا من الصراع بالإضافة إلى مواقف وآراء بعض المؤرخين حول التصادم.

وفي الأخير ذيلت بخاتمه وحصل ضمت مجموعة من الاستنتاجات المستخلصة من الدراسة المرفقة بالملحق، راسها ضرورية ومهمه تزيد الموضوع وضوحا.

خاتمة: وفيها أهم نتائج البحث

الفصل الأول: تاريخ نشأة التيارات الصوفية والإصلاحية في الجزائر

(من القرن 16 الى بداية القرن 19م).

تمهيد

- **اولا: تاريخ الطرق الصوفية في الجزائر.**
- **ثانيا: التيارات الإصلاحية في الجزائر (جمعية علماء المسلمين).**

خلاصة

تمهيد:

في هذا الفصل الأول من تاريخ ظهور التيارات والطرق الطرقية والإصلاحية في الجزائر، يجد الباحث فيه أن هذه التيارات بات تشكل جزء من تاريخ حياة الجزائريين وترتبط بوجوده قبل نزول الاستعمار الفرنسي سنة ألف وثمانمائة وثلاثين، ولم تكن تخلوا مدينة ولا قرية من زواياهم وأوقافهم، لأنهم متغلغلين في جميع الحياة الجزائرية اجتماعية كانت أو تربوية أو ثقافيه أو حتى ما ارتبط بالجانب السياسي والعسكري.

ومن رحم هذه التراكمات التاريخية ذات البعد الديني والاجتماعي ولدت جمعية العلماء أو طلبة العلم الذين تبنوا الفكر الإصلاحي التنويري والذي مثل ثورة في تجديد الدين ومعارف العصر متأثرة في تلك الفترة بحركة النهضة التي بلغت أوج نشاطها في المشرق العربي، وقد تسنى لجمعية العلماء أن يقيم بعض المؤسسات التربوية والإعلامية التي تشير من خلالها آراء ومشاريعه الإصلاحية.

ومن الطبيعي أن يحصل بين هذين العنصرين المهمين أنواع من الاختلاف في الأسلوب والفكر والتعامل المبنية على أساس التوجهات الفكرية المختلفة التي كان كل التيارين يتبناها أفكار لتصل أحيانا الى درجة التناقض مما أثر على مسار الحركة الوطنية الجزائرية.

فما هي بدايات النشأة الأولى لكل من الطرقيين والإصلاحيين من جمعية العلماء؟

أولا: تاريخ الطرق الصوفية في الجزائر:

1-كلمة الصوفية التسمية والتعريف:

أ-التسمية: تعددت التعريفات عند مؤرخي الفكر الإسلامي في حقيقة المصدر الذي اشتقت منه كلمة صوفية، والتصوف، فغزوا التسمية الى مصادر أربعة هي:

-الصُفة: وهي فناء ملحق بمسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة. مثل ما جاء في الأثر وسبب اشتهارها هو انتساب بعض المسلمين إليها عرفوا بأهل الصفة. وكانوا ممن انقطعت بهم السبل، أذن لهم النبي ﷺ أن يقيموا في المسجد، ومما جاء القرآن الكريم عنهم وعن أمثالهم قول الله تعالى: {**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه**[1]. كما سمي أهل الصفة بالغرباء أيضا لخروجهم من ديارهم.[2]

وأما عن اشتقاق المصطلح فإن النسبة الى الصفة: صفي، وليس صوفي، ولكن مع ذلك لا يمكن إلغاء أثر سلوك أهل الصفة[3].

- الصوفة: جاء في لسان العرب "لابن المنظور " الصوفة: كل من ولي شيئا من عمل بيت الحرام قبل الإسلام وهم الصوفانة. وصوفة ((أبوحي)) من مضر، كانوا يقومون على خدمة الكعبة في الجاهلية، ويجيزون الحاج، أي يفيضون بهم، ويقال في الحج: أجيزي صوفة، فإذا أجازت قيل: أجيزي خندق، فإذا أجازت أذن للناس كلهم في الإجازة، وهي الإفاضة. وقيل عند بعضهم: صوفة قبيلة اجتمعت من أفناء القبائل، واحتمال أخذ التسمية من هذا القبيل ضعيف ومردود[4].

-الصوف: يميل غير واحد الى إرجاع التسمية الى المظهر، وهولبس الصوف الذي اعتمده عدد كثير من الزهاد قياسا على التسمية (حواريين) اشتقاقا من لبس الثياب البيضاء. والاشتقاق من صوف (صوفي) سليم لغويا الا أن ارتداء الصوف ليس قاعدة عند كل الصوفيين، ومن الصوفي صقل الباطن وإهمال الظاهر، هذا بشير بن الحارث الحافي يهاجم من يلبس الصوف، ويقلع عن ارتدائه، ويرغب في القطن لبس له.[5]

-الصفاء والصف: يميل أغلب الصوفية إلى رد اشتقاق التسمية ونسبتها الى صفاء القلوب ونقاء أسرارها، وممن قال بهذا المفهوم بشر بن الحارث الحافي: "الصوفي من صفا قلبه لله" ورغم أن الاشتقاق اللغوي من صفا ليس صوفي، إلا أن الصوفيين ربطوا التصوف بصفاء القلب.[6]

ب-التعريف:

- لغة: ذهب جمع من المتصوفة وغيرهم، الى اشتقاق التصوف من الصوف، في ذهب آخرون بمنع أن يكون له اشتقاق لغوي، وجعلوه لقبا محضا، وبهذا قال القشيري والهجوري: قال القشيري: وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق، والأظهر فيه أن يكون كاللقب.[7]

---

[1]- سورة الانعام، الآية 52.

[2]- صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، د ط، لبنان، دار الشرق، د ت، ص 34

[3]- المرجع نفسه، ص 34.

[4]- ابن تيمية، الفروقات بين أولياء الشيطان، د ط، قسنطينة، دار البعثة، 1407هـ -1978م، ص 24

[5]- صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 35 .

[6]- أسعد السحراني، التصوف منشؤه ومصطلحاته، دار النفاش، ط01، 1407م، بيروت، لبنان، ص 18 .

[7]- القشيري، الرسالة القيشرية، ط 2، القاهرة، دار السلام، 1423هـ-2003م، ص 152.

وهناك من رد جذوره الى أصله اليوناني فهو مشتق من كلمة صوفيا Sophia، ومعناه الحكمة، وقد قال بهذا الرأي البيروني (440 هـ) وبعض المستشرقين، واستغربه غالبية الباحثين في التصوف، وقد رأي زكي مبارك أنه لماذا لا تكون كلمة التصوف العربية قد رحلت الى معابد اليونان فأصبحت صوفيا؟ ولكن هناك من يربط هذا الرأي بما دخل التصوف في مرحلة متأخرة (ق 5 هـ) من تأثيرات الفلسفة اليونانية.[1]

-اصطلاحا: إن التصوف تجربة خاصة بأفراد معنيين وليس شيئا مشتركا بين الناس جميعا ولكل صوفي منهج اوطريقة معينة في التعبير عن حالته، ويعمد الى استعمال أسلوب رمزي للإخفاء ذوقه عمن لا يرتقون الى مستواه. وعلى هذا الأساس تعددت مفاهيم التصوف حيث ذكر السهر رودي أن أقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد عن ألف قول، وقال الشيخ زروق أنها تزيد عن ألفين وأورد المتصوف الغارتي المروزي (المتوفي سنة 491 هـ) أكثر من عشرين تعرفا، وذكر القشيري أكثر من خمسين تعريفا، ... وقد صنف الباحثون في التصوف هذه التعاريف في أبواب عديدة حسب مدلولات أبعادها، ورغم اختلافها إلا أنها تتفق في بعدها الأخلاقي المستمد من الإسلام: [2]

حسب الغزالي: التصوف اسم جامع لمعاني الزهد مع الأوصاف وإضافات كثيرة لا يكون الرجل بدونها صوفيا وإن كان زاهدا وسئل سمنون (المتوفي سنة 290 هـ / 903 م) عن التصوف فقال: "ألا تملك شيئا ولا يملك شيئا " ويقول وريم بن أحمد (المتوفي 303 هـ / 942 م): التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والإيثار وترك التعرض والاختيار[3]

وبهذا فهو العلم المختص بترويض القلوب وتهيئتها الى استحضار الله تعالى في كل نفس وحركة خلق البرزخ المحمدي الذي هو الشريعة على حد قول الصهري أبي حامد وبفضل الشاذلي في نفس الاتجاه أن التصوف ليس بالرهبانية ولا أكل الشعير والنخالة وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين في الهداية. فالتصوف ليس نحلة أودين يعتقده المرء مقابل الانسلاخ من الإسلام، بل هو اجتهاد في العبادات والطاعات ومظهر متطور للزهد والعبادة، وهوليس بديلا عن الكتاب والسنة.[4]

تبقى هذه التعريفات مجرد اجتهادات لانّ التصوف هو تجربة ذوقية ذاتية خاصة بكل متصوف وتتلون بحسب ثقافته وبيئته ومحيطه، ولهذا ليس عجبا أن تعددت تعريفاته واختلفت طرقة.

2-نشأة وظهور الطرق الصوفية في العالم الإسلامي وانتقالها الى الجزائر:

يعود تاريخ ظهور الطرق الصوفية وانتظامها في طوائف ومجموعات أواخر القرن الثالث الهجري والقرن 15م، ومنه بدأت تنتظم في هيكل وظيفي يأتي على رأسه في بعض الطرق شيخ الشيوخ وتشير بعض المصادر أن أول من تلقب به إسماعيل بن أبي سعد المتوفي سنة 541 هـ كما لقب به ابنه من بعده. وحافظ هذا اللقب أو وظيفة (شيخ الشيوخ) على وجوده وقد تبنته الكثير من الطرق والى اليوم، ففي سنة 659 هـ أطلق على شيخه الخانقات (الزاوية) الصلاحية في عهد الأيوبيين، والممالك كما انتشر هذا اللقب وأطلق على الكثير ممن تولوا

[1]- الجوهري، كشف المحبوب، ت: اسعار عبد الهادي قنديل، م ت: امين عبد المجيد بودي، د ط، بيروت، دار النهضة العربية، 1980 م، ص27.

[2]- طلعت غنام، اضواء على التصوف، د ط، القاهرة، عالم الكتاب، د ت، ص 27.

[3]- عبد الرزاق نوفل، التصوف والطريق اليه، د ط، بيروت، دار الكتاب العربي، د ت، ص 18.

[4]- المرجع، نفسه، ص19.

هذه الوظيفة في دمشق وهذا في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، وقد يكون أدناه المريد هو المتعلم على شيخ الطريقة وفق منهاج معيّن[1].

ويذهب المؤرخ الجزائري الشيخ عبد الرحمان الجيلالي إلى أن انتشار الطرق الصوفية وتعددها وتفرعها إلى فروع عديدة يعود إلى القرن الثامن الهجري وقد فاق عددها الثمانين طريقة. وقد تحدث الشيخ حسن بن علي الفجيجي في رسالة له مخطوبة عن أربعين طريقة. وذكر في رسالة هذه ما يتميز به أهل كل طريقة ونقل عنه ذلك تلميذه أبو سالم العياشي الرحالة المغربي المعروف في رحلته.[2]

وفي الجزائر توجد من بين هذا العدد المذكور: الطريقة الرحمانية وهي أكثر تلك الطرق انتشارا والسنوسية، والقادرية والتجاني والطيبة والشاذلية والعلاوية والدرقاوية والعيساوية والعامرية والحنصالية والزيانية والموساوية ... [3]

وقبل ذلك هناك استثناء فالطريقتين القادرية والشاذلية كانتا موجودتين قبل قدوم العثمانيين الى الجزائر وباقي الطرق الصوفية الأخرى أخذت بعد مجيئهم في التعداد والتكاثر حتى بلغ عددها 23 طريقة تضم ما بين 295/189 من المريدين والاخوان[4].

ويقوم بتيسيرها والإشراف عليها سبعة وخمسون شيخا بمساعدة حوالي ستة آلاف من مقدم ووكيل وعامل، يقومون بشتى أنواع الخدمات.

وتمتلك هذه الطرق 349 زاوية يتبرع الاتباع لها سنويا بمبلغ سبعة ملايين من الفرنكات وأكثر الطرق الصوفية وأوسعها انتشارا هي الطريقة الرحمانية التي تنتمي اليها 156000 من المريدين بينهم 13 ألف إمرة[5].

واستنادا الى هذه الإحصائيات الواردة في تاريخ الجزائر العام نقلا عن دائرة المعارف الإسلامية التي يعود تاريخها الى مطلع القرن الماضي وهي موزعة كالآتي: الجزائر 250 زاوية المغرب 200 زاوية تونس 60 زاوية[6].

ودائما مع الشيخ عبد الرحمان الجيلالي نقلا عن دائرة المعارف الإسلامية هذه الإحصائية لأتباع هذه الطرق الصوفية في الجزائر مع قليل من التصرف. أن أكثر هذه الطرق اتباعا في الجزائر هي الرحمانية التي تتفرع الى عدة فروع وتمتد نفوذها الى جميع أنحاء القطر وبيوتها الكبرى منفصلة بعضها عن بعض. ولعل المقصود بالبيوت هنا الزوايا ... [7]

ويلي الرحمانية في الأهمية التيجانية التي يوجد مركزها في عين ماضي بالقرب من مدينة الأغواط وينتشر أتباعها البالغ عددهم 26000 في الصحراء وفي جنوب وهران ويليها القادرية وتضم 24000. من الاتباع[8].

والطيبية التي لا تزال تنشط في الغرب الجزائري وتضم 22000 من الاتباع، وشيخها شريف الوزان بالمغرب الأقصى[9].

---

[1].- صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، ج 1، دار البرق، د ط، 2002، لبنان بيروت، ص 138

[2]- صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص138.

[3]- المرجع نفسه، ص 138.

[4]- المرجع نفسه، ص 138.

[5]- المرجع نفسه، ص 138.

[6]- المرجع نفسه، ص 138.

[7]- المرجع نفسه، ص 138.

[8]- المرجع نفسه، ص 138.

[9]- المرجع نفسه، ص 138.

الشيخية أولاد سيدي الشيخ وتضم 10000[1].

أما باقي الطرق فلا يزيد أتباعها عن بضعة آلاف وهو عدد قابل للتطور بين الزيادة والنقصان بحسب الظروف، ومنها: والدرقاوية التي كان لها يد في جميع الثورات التي نشبت في ضد الأتراك والفرنسين، العمارية، العيساوية، والحنصالية أتباعها من المنشقين على الطريقة الشاذلية وينتشرون في أنحاء ولاية قسنطينة، الزيانية، الزروقية، وتأتي بعدها الكرزازية واليوسفية والسنوسية التي لا يكاد يبلغ أنباعها ألفا.[2]

3-الطرق الصوفية المعاصرة في الجزائر ومشايخها:

-الطرق الصوفية في الجزائر: إن للطرق الصوفية تاريخا طويلا...من البطولات والأمجاد وهذا رغم انحراف بعض المتسببين إليها، تلك الطرق التي اعترف لها الكثير من المؤرخين والباحثين بما قدمته من تضحيات ومن خالص الأعمال التي كانت في خدمة الدين والعلم والوطن.[3] والوطن.[3]

كما تعتبر الطرق الصوفية بغض النظر عن توجهاتها الفكرية والسلوكية المختلفة، من أهم مكونات المجتمع الجزائري منذ فترة طويلة من الزمن، فالمؤرخون يتفقون على أنّه بداية من القرن السادس عشر أخذت في الانتشار ولها أتباع كثر ونفوذ اجتماعي كبير، بل تعداه الى النفوذ السياسي ثم أخذت تنمو وتتسع حتى انتشرت على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر.

[4]

-الطريقة القادرية: تعدّ من أقدم الطرق الصوفية التي دخلت الى الجزائر من طريق بجاية، ثم انتشرت في الغرب الجزائري والجنوب الغربي من الصحراء وباقي مناطق الجزائر وغرب تونس. ولها فروعها في مختلف المدن ولها زوايا وأوقاف وأضرحة ومساجد في الجزائر وتلمسان وغيرها، كانت ترسل مع الحجاج الى الزاوية الأم في بغداد، وبقي الحال كذلك في العهد الفرنسي، ولكن في ظل إجراءات مغايرة متضمنة قيودا عديدة. وتعتبر القادرية أساس ومنطلق كل الطرق الصوفية في الجزائر، وتفرعت منها الطريقة الشاذلية، وعن هذه الأخيرة تفرعت طرق أخرى كالدرقاوية والجزولية واليوسفية والعيساوية والشيخية والطيبية والحنصالية، وإن كانت الشاذلية قد تفرعت عن القادرية إلا أنها أخذت منحى صوفي يختلف عن المنحى القادري. وقدّر الفرنسيون عدد أتباع الطريقة القادرية في الجزائر سنة 1882 بـ (14.574) إخوانيا، 268 مقدّما، 29 زاوية[5].

وقد كان لهذه الطريقة تاريخ مشرف في الجزائر، فهي من أوائل الطرق التي قاومت الاستعمار الفرنسي بقيادة شيخها الكبير الأمير عبد القادر (1830-1847) وكان لها في نفس الوقت علاقة طيبة مع جمعية علماء المسلمين، في وخاصة في منطقة الوادي التي كانت تتزعم في ذلك الحين هذه الطريقة.[6]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 138.

[2]- صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص132-137.

[3]- المرجع نفسه، ص138.

[4]- فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وآثارهم في الجزائر خلال العهد العثماني، الدار الفتن الفرانكيس، باتنة، ط 1، ص 34.

[5]- المرجع نفسه، ص 35.

[6]- المرجع نفسه، ص35.

– **الطريقة الرحمانية:** تعتبر من أوسع الطرق انتشارا في عموم الجزائر إبان ق 19 م، حيث كانت تحوز وحدها على أكثر من 5% من الزوايا 177 زاوية وأتباعها 156214 إخوانيا. وتنتشر خاصة في الشرق والوسط والجنوب وحتى في تونس، ويذكر للطريقة الرحمانية التي صعدت من سلطتها في منطقة الشرق الجزائري وخاصة الريف القسنطيني، يذكر أنها قامت بدور محوري في نشر التضامن بين سكان المنطقة ونشر العلم والتآخي. وقد كانت هذه الطريقة محل احترام بعض مشايخ الجمعية، وخاصة الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي كانت له علاقة مع بعض مشايخا. [1]

–**الطريقة التيجانية:** تنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها الشيخ العباس أحمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني[2] ، ولد سنة 1150هـ الموافق لـ 1737م بعين ماضي، وكان فقيها عالما بالشرع إلى جانب وعظة وتصوفه، ويقال أنه مال إلى التصوف الطرقيين واستغل به وعمره 20 سنة وأطلع على بعض علومه وأسراره، ارتحل الشيخ أحمد التجاني في طلب العلم إلى فاس وتلمسان وتونس والقاهرة ومكة، ولقد تشبع بالفكر الصوفي في فاس وأنشأ طريقته في سنة 1196هـ بقرية " أبي سمغون "، وهناك زعم أنه قد جاءه الفتح وأنه لقي الرسول ﷺ يقظا لا مناما وأنه أذن له في تربية الخلق على العموم والإطلاق، وأخذ عنه الطريقة الصوفية وأمره أن يترك كل طريق أخذه مشايخ الطرق الصوفية اكتفاء بما أخذه عنه ﷺ وذلك سنة 1196هـ.[3]، ويمكن التسليم بصحة الرواية وحديث الشيخ ومن دون الطعن في صدقه من كذبه، ظرا لأنه في تلك الفترة كان الناس يميلون الى الكرامات وتصديقها، والشيخ عرف ذلك ووظفه معلنا ابتداعه طريقته ومدرسته الجديدة، مستقلا عن شيوخه وطرقهم.

انتشرت الطريقة التجانية ووجدت لها أتباع في الجزائر فعد لها (25000 منخرط و32 زاوية) عام 1230هـ/1815م، تركز نشاط التجانية خاصة في أقصى الجنوب الجزائري في مناطق عين ماضي وتماسين ورقلة ووادي سوف، وكانت لهم علاقات وطيدة مع وسط أفريقيا، هذه الأخيرة التي انتشر فيها الإسلام بفضل هذه الطريقة حيث يقول بعض المؤرخين: (ولولا قضاء فرنسا على التجانية، لأصبحت أفريقيا كلها إسلامية تماما»[4]

وكان للطريقة التجانية علاقات التي كانت بحاجة إلى دعمها حيث حافظت عليها من أجل مساعدتها ويعتبر مُحَّد الساسي القماري أحد أتباع الشيخ أحمد التجاني الذي نشر الطريقة في وادي سوف وأوصلها إلى بلدة قمار حيث كان يشتغل بتعليم القرآن للناشئة بالأغواط، ولما سمع بالشيخ أحمد التجاني أتصل به في عين ماضي، وأعجب بورعه وسلوكه الصوفي، فأخذ عنه مبادئ الطريقة، ولكن المقدم مُحَّد الساسي أعلن عن تخوفه، أمام شيخه في معارضة بلده له، والذين ينتسبون إلى طرق أخرى، لكن الشيخ أحمد التجاني طمأنه وقال له : « تسبب في التعريف بها ولقن من رغب فيها والباقي أتركه على الله وهمتنا، ورجع إلى قومه ودعاهم إلى الطريقة الجديدة برفق واحتشام وأتبعهم بعض الأفاضل السابقين من بينهم : العارف بالله سيدي عبد الله، العارف بالله سيدي الطاهر بن عبد الصادق، العارف بالله سيدي عبد الله بده، التاغزوتي سيدي أحمد بن سليمان الرابحي[5].

[1]– صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 139.

[2]– أحمد التيجاني، ت: ابي القاسم مُحَّد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج 2، د ط، المؤسسة الوطنية المطبعية، 1991، ص 88.

[3]– مُحَّد البشير القهواجي، نظرات في التصوف الاسلامي، ط 1، دار كلام الطيب، بيروت، 2004 م، ص 203.

[4]– مختار الفيلالي الطاهر، المرجع السابق، ص 46.

[5]– المرجع نفسه، ص 34.

تحافظ الزاوية التيجانية اليوم ببلدة قمار على شكلها وهي النواة الأولى للزاوية الكبيرة التي يشاهدها الزائر الآن، وقد تأسست في الثلاثي الأخير من سنة 1789م، وبعد التوسعة الكبرى للزاوية خاصة بعد بناء المسجد المعروف بجامع سيدي أحمد عمار، صار موقع الزاوية الأصلي مقبرة عائلية وأشهر من وجد مثواه بها مؤسس الزاوية الشيخ سي أحمد عمار.[1]

وبعد وفاة الشيخ أحمد التجاني سنة 1166هـ /1815م تقلد الحاج علي التماسيني خلافة مؤسس الطريقة الذي عقد له الخلافة قائلا له: (إن أمرنا هذا يأخذه حي عن حي وإنك أنت الخليفة من بعدي وهذه هي إرادة الله) حضر هذا الانتقال السلطة الخلافة التجانية الشهود العدول على رأسهم الخليفة سيدي محمود التونسي والمقدمين في الطريقة من بينهم العارف بالله الولي سيدي الطاهر بن عبد الصادق القماري، سيدي أحمد بن سليمان التاغزوتي، وسيدي علي بن حنيش، وأوصى الشيخ الراحل خليفته الأول على أهل بيته الأقربين وأمرهم بإعادة أهل بيته إلى الصحراء الجزائرية مصرحا: "إن أولادي لا تليق بهم إلا الصحراء، وبعد سنة أعادهم إلى عين ماضي، رغم المعارضة الشديدة التي لقيها الحاج علي التماسيني من أغلب مريدي قمار على مبايعته للخلافة لكن الزاوية ظلت خلال عهده عامرة بالمريدين وأراد أن يستقر بها لكن الظروف حالت دون ذلك وأدركه الموت عام 1260هـ-1844م".[2]

-الطريقة الدرقاوية: هي طريقة صوفية مغربية متفرعة من الشاذلية وأول من دعا إلى مذهب الدرقاوية هو الشريف إدريس المدعو علي بن عبد الرحمان الجمل أو الجمال وهو أبوالحسن بن عبد الرحمان الفاسي من جماعة العمرانيين الذين استوطنوا في الشمال الغربي من مدينة فاس المغربية، وهومن أشهر الفقهاء الذين عملوا حسب تعاليم القرآن الكريم والعقيدة الصوفية الشاذلية، التي تعتبر الطريقة الأم والأصل التي تفرعت عنها عدة طرق من بينها الطريقة الدرقاوية، وسميت هذه الطريقة بالطريقة الدرقاوية نسبة إلى درقة وهي قبيلة بالمغرب الاقصى.[3]

وقد ارتبط تأسيس الطريقة الدرقاوية بشخصية مهمة في تاريخها وهي شخصية مولاي العربي الدرقاوي فقد كان هومن نظم هذه الطريقة ووضع أساسها على القواعد الصحيحة وأكمل نشر تعاليمها، ولد مولاي العربي الدرقاوي ببني زروال " وضريحه ، هنالك مشهور يقصده عامة الناس للتبرك به، فتعلم على يده علم الباطن بعدما كان قد تحصل على علم الظاهر كما أخذ عنه الورد العام ثم الخاص وفي بني زروال أسس الدرقاوي زاويته واهتم بالإرشاد والتربية حتى كثر أتباعه، واعتبر من كبار الشيوخ ويعود الفضل في انتشار هذه الطريقة هو النسب الشريف لا المولى العربي الدرقاوي حيث أصبحت من أهم الطرق الصوفية في المغرب الأقصى والجزائر.[4]

لقد امتازت الطريقة الدرقاوية بمجموعة من المبادئ تفرد بها أتباع هذه الطريقة من حيث المظهر وطريقة التعبد ومن ناحية اللباس، فقد كان أتباع الطريقة الدرقاوية يقلدون كبار الصحابة وغيرهم في بعض المظاهر مثل لبس المرقعات لأن أبي بكر وعمر لبساها وحمل العصي لأن موسى عليه السلام حملها، وهم يرقصون على اسم الله لأن جعفر بن أبي طالب قد احتفي باسم الله بأداء الرقص وهم يحملون السبحة لأن أبي هريرة كان يحملها في رقبته كما أنهم يفضلون العزلة ويمشون حفاة ويحتملون الجوع ولا يخالطون إلى الصالحين ويتفادون أصحاب السلطة ويصدقون في أقوالهم ولا ينامون إلا قليلا ويقظون الليل متعبدين ويكثرون من الصدقات ويطيعون شيخهم ويطلعونه على كل صغيرة وكبيرة.[5]

---

[1]- المرجع نفسه، ص51.

[2]- علي حرازم بالعربي، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض السيد أحمد التجاني، ج 1، د ط، مكتبة الكلية الازهرية، الازهر مصر، 1977م، ص 28.

[3]- صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 230.

[4]- المرجع نفسه، ص 231.

[5]- المرجع نفسه، ص 232.

4-التعريف ببعض مشايخ الطرق الصوفية بالجزائر:

-الشيخ مُحَمَّد الهاشمي: ولد الشيخ مُحَمَّد الهاشمي بن ابراهيم بن مُحَمَّد بن عطية الشريف بنفطه بالجريد التونسي سنة 1853م، من أم سوفية من البياضة وأسمها أم هاني بنت الحم من عائلة القرافين، ووالدة الشيخ ابراهيم شيخ الطريقة القادرية بالجريد التونسي، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة وتلقى مبادئ العلوم الشرعية وغيرها على يد شيوخ الزاوية القادرية ثم انتقل إلى الحاضرة التونسية وبها تعلم أصول وقواعد الفقه بتونس، واشتهر الشيخ مُحَمَّد الهاشمي بالكرم والفطنة وقوه الحجة والذكاء والحنكة والشجاعة، توفي بالوادي صفر 1342هـ/ 1923/09/23 مدفون بزاوية البياضة الوادي.[1]

-**الشيخ عبد العزيز الشريف**: هو عبد العزيز الشريف بن مُحَمَّد الهاشمي بن أحمد الشريف، ولد بالبياضة سنة 1898 م، نشا وترعرع وعاش طفولته وشبابه في جو ديني ووطني في كنف أبيه، وقد توسم فيه والده منذ صغره الخير حيث لاحظ عليه الفطنة والنجابة وسرعة البداهة. حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، غادر الشيخ عبد العزيز الشريف الوادي سنة 1913، ليلتحق بجامع الزيتونة بتونس، ولما رجع الشيخ إلى الوطن أنضم في سنة 1937 إلى جمعية العلماء المسلمين كعضو بارز وفعال فيها بحكم إمكانياته العلمية وعلاقاته الاجتماعية، وبذلك جمع الشيخ بين الطرقية الصوفية والإصلاح واستغل الزاوية القادرية في دور إصلاحي مع دورها التقليدي كمؤسسة علمية واجتماعية ودينية وندد بأعمال الاستعمار علنا في عدة مواقف ومن بينها أحداث أفريل 1938م، حيث انتزعت منه المواطنة الجزائرية بسبب معارضته الشديدة للاستعمار وأعوانه، توفي في 01 جوان 1965 ودفن في مقبرة الجلاز بتونس.[2]

-الإمام الشريف: هو الإمام بن إبراهيم بن أحمد بن مُحَمَّد بن عطية بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن أحمد بن سيدي أحمد العماري بن عبد الله بن عبد الوهاب بن عبد السلام بن مشتيش بن أبي بكر بن علي بن عيسى بن مزور بن خضير بن ضرار بن مُحَمَّد بن عبد الله بن ادريس الأصغر بن ادريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن أبي مُحَمَّد الحسين المثنى ابن الحسين البسط بن علي بن أبي طالب زوج فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ، من عائلة الشريف ولد بنفطة التونسية سنة 1864م، كما تزوج الزهرة بنت الحساس عمه التهامي بن أحمد بن عون، وأنجب منها سبعة بنات وسبعة أولاد منهم: إبراهيم، مُحَمَّد لمين، مُحَمَّد لخضر، وتصفه ايزابيل ابرهاردت بأنه أشقر الشعر أبيض البشرة، ذوعينين زرقاوين ضخم الجسم، تنيره نضرة هادئة عيناه غريبتان، كان يكره الأجانب ولا يحب رؤيتهم، وعندما مرض ذهب ابنه لكي يجلب طبيبا أجنبيا فدعي الله أن يموت قبل أن يرى طبيبا أجنبيا فاستجاب الله لدعائه، توفي سنة 1904 وعمره 40 سنة، وتكفل ابنه لمين بأمور الزاوية وعمره 12 سنة.[3]

-**الشيخ مُحَمَّد الصغير بن الشيخ الحاج علي**: ولد عام 1232هـ/1817م حفظ القرآن الكريم، وقرأ المتون وبعض الشروح، كان الشيخ مُحَمَّد الصغير ملازما لأبيه الحاج علي، فتربى على يده وسلك الطريق حتى صار مثلا للعلم والتقوى والفضيلة، وكسب ثقة سكان الصحراء، تولى

[1]- عبد الرازق زهيري، الشيخ الهاشمي الشريف، الملتقى الوطني الثاني للشيخ الهاشمي الشريف، دار الثقافة، الوادي، 27-28 فيفري 2003، ص 2.

[2]- عاشوري قمعون، جهاد الشيخ عبد العزيز الشريف في حركة الإصلاح والمقاومة الاستعمار الفرنسي، الملتقى الوطني الثالث للشيخ الهاشمي (1853-1923) أيام 07-08 فيفري 2014، جامعة الوادي، ص 05.

[3]- عاشوري قمعون، دور عائلة الشيخ ابراهيم الشريف في الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع السابق، ص 80.

الشيخ مُحَمَّد الصغير أمر الزاوية التيجانية بتماسين في 19 نوفمبر 1875م خلفا لأخيه مُحَمَّد العيد، واستمر مشرفا عليها إلى يوم وفاته 18 رمضان 1309هـ/1891م، ودفن في قمار.[1]

-الشيخ مُحَمَّد العروسي التيجاني: هو مُحَمَّد العروسي بن مُحَمَّد الصغير بن الحاج علي التماسيني، المكني سيدي حملة العروسي[2]، ولد بقمار سنة 1850م، عاش في زاوية قمار، وقرأ القرآن، اشتهر بالزهد والعبادة والكرم وإصلاح ذات البين ودوام الذكر مع ملازمته لتدريس العلوم الشرعية ولدراسته كتب التصوف خصوصا إحياء علوم الدين للغزالي والفتوحات المكية لابن العربي.[3]

ونظرا لقوة شخصيته وحكمته جعل الزاوية محط أنظار الكثير من الناس، إضافة إلى السلطات الفرنسية التي سعت إلى تمتين أواصل الصداقة معه من أجل طلب المساعدة، كما كان الشيخ مُحَمَّد العروسي دبلوماسيا ماهرا، ذا عقل مفكر، يسهر على أتباعه وغيرهم فصار مسموع الكلمة في السوق وخارجها[4]، واستطاع تمتين الصلات مع أهلها واستغل ذلك في مساعدة البعثات الفرنسية، كما كان ذا مهارة عالية في فن الهندسة والنقش الشرقي، بالإضافة إلى اهتمامه بالتأليف وتسجيل الوقائع والأحداث التاريخية، كانت زاوية قمار في عهده مدرسة لتلقين العلوم المختلفة لعدد محدود من أبناء الزاوية وأصدقائها، توفي الشيخ بقمار سنة 1358هـ/1920م ودفن بزاويتها.[5]

ثانيا: التيار الإصلاحي في الجزائر:

1-ظروف وعوامل نشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر:

لم يكن ظهور جمعية علماء المسلمين وليد الصدفة، وانما كان ثمرة بذور زرعها بعض المصلحين العرب والمسلمين في أواخر القرن التاسع عشر، أمثال جمال الدين الأفغاني ومُحَمَّد عبده، كما كان لتأثير بعض العوامل المحلية والخارجية إيجابا وسلبا بالغ الأثر في ولادة الجمعية، وبداية تتمثل هذه التأثيرات الايجابية فيما يلي:

-الأرض الطيبة التي احتضنت البذور الإصلاحية وتفاعلت معها، وقد كان هذا التفاعل بطيئا في البداية بسبب العوامل السلبية التي كانت تشدُّ على الأرضية وتخنقها بتراكماتها البالية ولضغوطها الثقيلة. وتمثل هذا العطاء في الشعب الجزائري الذي كان على استعداد للعطاء والتأصيل ومنه خرجت البذور الإصلاحية المحلية التي عرفت بالجبل الأول من المصلحين الذي ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ويبدأنه كان سلفيا وقد تأثر بالحركة الإصلاحية المشرقية ومن أعلامه: الشيخ صالح بن مهنا، الشيخ عبد القادر المجاوي، الشيخ عبد الحليم بن سماية، الشيخ مُحَمَّد بن خوجة ... ويمكننا أن نضيف الى هؤلاء بعض المتعلمين الذين داوموا على قراءة ((المنارة)) وتداولوا كتب ابن تيمية وابن القيم والشوكاني. [6]

---

[1]- علي حرازم بالعربي، المرجع السابق، ص 28.

[2]- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، د ط، ص 231.

[3]- عبد الباقي مفتاح، اضواء علي الشيخ احمد التجاني واتباعه، مج، موجود بزاوية قمار بوادي سوف، ص 191.

[4]- عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص192.

[5]- ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج2، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب الجرائد، 1986، ص395.

[6] - احمد الخطيب، جمعية علماء المسلمين وأثرها والإصلاح في الجزائر، د ج، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 91.

ويبدوا أن تأثير هؤلاء العلماء في نشر الفكر الإصلاحي الذي تبنته هذه المدرسة في القطر الجزائري كان محدودا، فناشطهم اتسم بالفردية، كما أن بعضهم كان مدرسا في مدارس الإدارة الحكومية مما اضطرهم الى مراعاة جانب من التزاماتها، فخففوا من نشاطهم واحتفظ البعض منهم لنفسه ولبعض من حوله بأفكاره الإصلاحية.[1]

-الدور الذي لعبته الصحافة العربية الإصلاحية في الجزائر عقب انتشار الطباعة وانتشار الصحافة الورقية أوائل العشرينيات في التحضير الرأي العام لتقبل الحركة الإصلاحية، ومن هذه "الجرائد الجزائر" الفنان التقدمي الاشتراكي عمر راسم، و"الفاروق" لعمر بن قدور الذي تأثر بمحمد عبده، فكان ينقل بعض مقالات "المنار" في جريدته و "ذو الفقار" لعمر راسم، و"الاقدام" للأمير خالد والمتقدم ثم "الشهاب" لعبد الحميد بن باديس "الجزائر" للزهري و "صدى الصحراء" ثم "الإصلاح" للطيب العقبي و "وادي ميزاب" ثم "ميزاب" لأبي يقضان.[2] ومع محدودية انتشارها إلاّ أنّها ساهمت بدورها في يقظة الجزائريين وتوعيتهم.

-الثورة التعليمية والتربوية التي أحدثها عبد الحميد بن باديس في قسنطينة منذ عام 1913 حيث خرج من التقليد الى التجديد، فكانت دروسه الحية وتربيته الصحيحة تفعل فعلها في نفوس تلامذته، فخرجت عن يده أفواج من الطلبة مستكملة الأدوات من فكر صحيحة وعقول نيرة ونفوس طامحة وغرائم صادقة والسن صقلية وأقلام كاتبة، وعودة الطلبة الأوائل الذين أنهوا دراستهم في البلاد العربية كالحجاز ومصر وتونس حيث عاصروا حركة نهضوية في المشرق بقيادة جمال الدين الأفغاني، ومُحَمَّد عبده ورشيد رضا وغيرهم من كبار المصلحين، فقد تلقوا العلم هناك وتشبعوا بفكر الإصلاح ومنهم البشير الإبراهيمي والطيب العقبي ومبارك الميلي ... أقام هؤلاء كل في منطقته يعلم ويربي ويدعو الى الإصلاح بالعلم والحكمة.[3]

أما العوامل السلبية التي واجهت الحركة الإصلاحية منذ نشأتها وسارت في خط متعارض معها، وكانت من دوافع التحدي التي أدت الى ظهور جمعية العلماء المسلمين فإنها تتمثل في العوامل التالية:

-الطرق الصوفية والمرابطية المنحرفة التي اعتبرها العلماء بدعة لم يعرفها السلف[4] وأحدثت في الإسلام وثنية لاعتمادها على بعض الطقوس الغريبة عن الدين الإسلامي مثل: الخلوة، والتوسل بغير الله، والبركة.[5]

الدعوات الاندماجية التي ظهرت من بعض مثقفي "الفرنسية"والتي حاولت بدعوى العلمانية سلخ الجزائر من تراثها القومي، وتذويبها في الكيان الفرنسي، فان هذه الدعوات التي نظرت الى الإسلام العربية في الجزائر نظرة رجعية متأثرة بما كان يسود البلاد من خرفات وبدع، وطريقة تعليمية تقليدية، كانت بحاجة الى من يصحح لها نظرتها، وذلك بالعودة بالدين الى منهله الصافي، وأحياء اللغة العربية، وبالتالي نزع الأغشية والرواسي عن جسم الجزائر.[6]

ضغط السلطة الحاكمة التي كانت تهيمن على مقومات الشعب الدينية والسياسية والثقافية، فالدين الإسلامي، خلافا للأديان الأخرى المعترف بها الجزائر، مؤمم، بكل معنى الكلمة، أوقافه ودور عبادته وموظفوه الشرعيون تحت السيطرة الكاملة للسلطة والوضع السياسي للشعب

[1] – عمار الطالبي، ابن باديس حياته واثاره، ج1، د ط، دار ومكتبة الشركة الجزائرية 1968م، ص 19.

[2] – أحمد الخطيب، المرجع نفسه، ص92.

[3] – البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الطبيعة الجزائرية الإسلامية، د ج، قسنطينة 1935، ص 37.

[4] – الشهاب ع 11، جوان 1937.

[5] – البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص38.

[6] – المصدر نفسه، ص 38.

الجزائري يبتسم بتجريده من هويته القومية، أما الوضع الثقافي فهو مختلف الى حد بعيد فالتعليم الفرنسي للجزائريين مقصر بشكل ملحوظ عن مثيله للأربيين رغم تفاوت النسبة العددية بينهم.[1]

إزاء هذه السلبيات جمعيا كان لابد من ظهور التحدي الذي تمثل سياسيا في حزب الشعب الجزائري، ودينيا وثقافيا واجتماعيا والى حد ما سياسيا في جمعية علماء المسلمين الجزائريين، فنادت بفصل الدين عن الدولة وعملت على إبراز الشخصية الجزائرية وتوضيح هويتها القومية. والمطالبة بتعميم التعليم والسير قدما في مضمار التعليم العالي.[2]

2-الحركة الإصلاحية الجزائرية الفكرة والتسمية:

إن ميلاد أية حركة، كما يقول أبو القاسم سعد الله، هو عملية طويلة وفي بعض الأحيان مؤلمة، قبل أن يستطيع الناس رؤيتها وتقديرها[3]، وبالفعل فإن ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كان عسير الوضع شاق

الظهور ذلك أن انشاء جمعية إصلاحية في بلاد كالجزائر تخضع لاستعمار ضاغط يحصي على الناس أنفاسهم، لم يكن بالأمر الهين، لكن ما جعل الامر ممكنا هو وجود أشخاص مؤمنين ايمانا راسخا بالإصلاح، متأثرين بالوضع المتردي الذي يعانيه أبناء أمتهم، ولم يعد من دواء لهذا الوضع سوى النهوض بالمجتمع العربي في الجزائر نهوضا يستهدف التغيير في الحياة السياسية والدينية والعقلية والاجتماعية.[4]

كما أن دراسة ميلاد وتأسيس الجمعية في الجزائر يؤدي الى الحديث عن الظروف التي ساهمت في ظهورها والتي كانت خارجية وداخلية. وفيما يخص العوامل الخارجية فإنها تتمثل أساسا في تأثير شخصيات قومية وفكرية من المشرق العربي تحديدا، يأتي على رأسها السيد جمال الدين الافغاني، وشخصيات فكرية أخرى. هذا من جهة، وكان للإنتاج الفكري للمصلحين تأثير في نموا الفكر الإصلاحي في الجزائر مثل مؤلفات الأفغاني، وتلميذه الشيخ مُحَّد عبده، والكواكبي...بالإضافة الى تأثير مجلة المنار التي كان يصدرها الشيخ مُحَّد رشيد رضا والتي كانت تلقى صدى واسعا لدى الأوساط الجزائرية العلمية المثقفة. وجدير بالذكر أن مُحَّد عبده زار الجزائر في 1903م ووقف على أحوالها.[5]

وكان لتأثيرات الحرب العالمية الأولى التي ساهمت في ظهور وتبلور الحركة الوطنية عموما والحركة الإصلاحية خصوصا وهذا من خلال تجنيد الجزائريين فيها مما وفر لهم فرصة احتكاكهم فكريا بأفكار الأمم المجاورة وتذوقهم جديدة الحرية المساواة خاصة. بالإضافة الى التنظيمات السياسية الأوروبية ومدى تأثيرها على الحركات الإصلاحية[6]

-العوامل الداخلية: وهي الأكثر تأثيرا في ظهور الجمعية وخاصة تلك المتعلقة بجهود ابن باديس بعد عودته من المشرق وتونس حيث يذكر الابراهيمي بأنه :<< ما كانت تنقضي مدة حتى كان الفوج الأول من تلاميذ ابن باديس ... طلائع العهد الجديد الزاهر>> هذا وقد عرفت الجزائر بداية العشرينيات نهضة صحفية أهلية تذكر منها: ذوالفقار لعمر راسم، المنتقد، ثم الشهاب الذي أسسها ابن باديس.[1]

---

[1]- المصدر نفسه، ص 38.

[2] - المصدر نفسه، ص39.

[3]- ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945م، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص 114.

[4]- الزبير رحال، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية 1889-1940م، د ط، دار الهدى، الجزائر، د س، ص 67.

2- على مرحوم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مرورا خمسين عاما على تأسيسها 1931-1981، مجلة الثقافة، العدد 66السنة، 11ديسمبر1981، ص16.

[6]- المصدر نفسه، ص .68

لمواجهة الطرقية المتنامية والتي أبعدت الدين الإسلامي عن تعاليمه الصحيحة في خدمة الأغراض الاستعمارية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تنامي وعي نخبة من المثقفين الجزائريين بالثقافة الفرنسية أو المسلمين الشباب الذين تبونوا سياسة الادماج ومنهم فرحات عباس في بداية مشواره السياسي والذين حاولوا على حد تعبير الابراهيمي سلخ المجتمع الجزائري عن هويته. وهي أفكار وتيارات كانت منتهية الصلاحية في حينها، لأنها أفكار لم تكن في مستوى قوّة الدين الإسلامي وحيوته.[2]

ولقد كان ابن باديس صاحب فكرة تأسيس الجمعية لأنه كان يؤمن بالعمل الجماعي المنظم وكان يقرن الدعوة اللفظية بالعمل، ومن هنا كانت دعوته الى انشاء جماعة تفكر وتدير، لأن النهضة الإصلاحية في نظره تقوم على الفكر والتخطيط والانضباط، فهو القائل: "إنما ينهض المسلمون بمقتضيات ايمانهم بالله ورسوله، إذا كانت لهم القوة، وإذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتتشاور وتتنازل وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة، متساندة في العمل عن فكر وعزيمة".[3]

وانطلاق من هذه الفكر زار ابن باديس خلال عام 1924 البشير الابراهيمي. في مدينة سطيف، وأخبره بأنه "عقد العزم على تأسيس جمعية باسم (الإخاء العلمي) يكون مركزها العام مدينة قسنطينة، تجمع شمل العلماء والطلبة وتوحد جهودهم ..." وعهد ابن باديس الى الإبراهيمي مهمة وضع القانون الأساسي للجمعية واتفقا عليه، ولكن حدثت حوادث عطلت المشروع كما صرح به الابراهيمي "الاستعداد لمثل هذه الأعمال لم يتضح بعد، وأن عملا عظيما كهذا لا يتعين على الفكرة الطائرة والخطوة العارضة، لابد له من زمن واسع حتى تختصر وتأنس إليه نفوس الفت التفرق حتى نكرت الاجتماع"[4]

ويوضح الشيخ أحمد حماني صعوبة الموقف قائلا: "الحوادث التي أشار اليها الابراهيمي بغموض، سبب فشل ظهور جمعية الاخاء العلمي هو عدم تجاوب علماء قسنطينة وعمالتها، الذين كانوا أغلبهم من موظفي الإدارة الحكومية، وعلى الرغم من فشل فكرة تأسيس هذه الجمعية فقد استمر رجال الإصلاح في نشاطهم اذ كانوا يلتقون على فكرة ولا يلتقون على نظام"، كان يتجاذبهم رأيان:

الرأي الأول: تبناه البشير الابراهيمي ويقوم على توجيه الجهود المتضافرة الى التعليم المتميز وتكوين طائفة جديدة منسجمة التعليم مطبوعة بالطابع الإصلاحي علما وعملا تتعمد على أساليب الدعوة الإسلامية والخطابة العربية.

الرأي الثاني: تبناه عبد الحميد بن باديس وكان بمواجهة الواقع بشدة والعمل على تنوير العامة المعذورة حتى يعلو صوت الحق فصيحا.

وتم في الأخير الأخذ بالرأي الثاني أي بالمبادرة بالهجوم على الطرقيين والمرابطين وأعوان الإدارة فأصدر ابن باديس جريدة "المنتقد" 1925 في قسنطينة وجاء اسمها كما يظهر نقضا للمنهج الذي كانت تربي الطرقية مريدها عليه ((اعتقد ولا تنتقد)).[5]

وفي نفس السنة صدرت جريدة ""الشهاب"" التي أعقبتها "" المنتقد ""وفيها دعوة الى المتعلمين المصلحين المشتتين في أنحاء الجزائر الى التجمع في حركة دينية محضة والعمل على تنقية الدين من الخرافات والبدع والعودة الى المصادر الأولى للقرآن والسنة. وطالبت من كل مصلح مثقف وكل مناصر للإصلاح أن يكتب الى إدارة الجريدة رأيه حتى يباشر بتأسيس الحزب[1].

4- محمّد البشير الابراهيمي، آثار الامام البشير الابراهيمي 1954-1956، تر: أحمد طالب الابراهيمي، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 166.

[2]- المصدر نفسه، ص166.

[3]- عبد القادر فضيل محمّد صالح رمضان، المرجع السابق، ص 55.

[4] - النجاح، العدد 1156، الأربعاء 20ماي 1931، ص02.

[5]- أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص98.

كانت هذه الدعوة بمثابة اللبنة الأولى في بناء الجمعية، حيث كانت أول الرسائل المؤيدة من الشيخ الطيب العقبي ثم تلاه الشيخ المولود بن الصديق الحافظي ثم مبارك الميلي، كما جاء في رسالة الشيخ العربي التبسي: "أزلفت ساعة الجماعة وتصدر عصر القرآن".[2]

ولهذا كانت ردة فعل قوية وتلقفت أقلام المصلحين هذه الدعوة بالقبول وكانت نتيجتها تأسيس نادي الترقي 1927م الذي أقرّ مجموعة من المبادئ منها:

- الدعوة الى الإصلاح والعروبة.
- رفض الجنسية الفرنسية.
- المقاومة لدعوات الإدماج.
- ضرورة إنشاء جمعية تتبنى مطالب الجزائريين[3].

لكن مما لا شك فيه أن فكرة ملاد الجمعية نضجت وأصبحت في متناول اليد وهو ما بادر به علماء الأمة لتشرف على الإصلاح على حد تعبير الابراهيمي، أصبحت عقيدة راسخة، وأصبحت بواعث تأسيسها صادرة من الأمة[4].

وقد سبق ميلاد جمعية العلماء المسلمين أحداث مهمة أهمها التحضير للاحتفالات المئوية على احتلال الجزائر. كان هدفها احياء جروح الجزائريين واشعارهم بالذل، والمهانة، خاصة بعد عقد مؤتمر كاثوليكي أقر فيه الاحتفال بدخول المسيحية من جديد إلى أفريقيا.[5]

وقبل ذلك أي عام 1926 كتبت جريدة فرنسية بمناسبة القضاء على الثورة في الريف، وإلقاء القبض، عبد الكريم الخطابي: " لقد استلم عبد الكريم من غير شرط، وخضع لحماية فرنسا، ذلك ما كنا نبغي، في الحادث مهم فهو يضرب الإسلام في الصميم، وفي وسعنا أن نفتك بهذا الفتك الذريع"، ومما قاله حاكم تبسة في خطابه:" أننا جئنا للجزائر لدفن القرآن لا ليحيا".[6]

في سنة 1927 عمل الشيخ توفيق المدني، والوطني الصالح مُحَمَّد المرابط، مع جمع من المصلحين في الجزائر العاصمة منهم محمود بن ونيش والحاج المصالي، عمر الموهوب، والزواوي الحاج، وقدور بن مراد التركي ومُحَمَّد إزميلي، وغيرهم فتفاوضوا على إنشاء نادي يجمع كلمة المسلمين ويحارب الطائفية ويثقف الجماهير ويحارب التفريق والاندماج وكل الآفات التي جاء بها الاستعمار[7].

في شهر فبراير 1931 طلعت شهاب التي يصدرها ابن باديس في قسنطينة وجاءت الدعوة من أي ذكر لنادي الترقي والاسماء المقترحين اللذين يذكرهم المدني وربما يفسر هذا الاحتفال قوله إذا أخذنا به بأن الرسائل كانت ترد الى "الشهاب" مستبشرة عن الجمعية كان يحولها ابن باديس بدوره إلى نادي الترقي[8].

---

[1]- الزبير رحال، المرجع السابق، ص 68.

[2]- أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 68.

[3]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص .44

2- عبد الرحمان بن براهيم العقون، الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصرة الفترة الأولى 1920-1936م، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984، ص 305.

[5]- المرجع نفسه، ص 305.

[6] - مُحَمَّد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام البشير الإبراهيمي 1954-1956م جمع وتقديمه نجله أحمد طالب الإبراهيمي، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997، ص، ص 166-167

[7]- محمد على دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، بحث الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، ج2، 2007، ص 27.

[8]-أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 103.

ولكن السؤال الذي يطرح هو لماذا لم يمسك النادي مباشرة بزمام الدعوة إلى إنشاء الجمعية؟ ولا ننكر انه لنادي الترقي تأثير في تكوين الجمعية. فالواقع أن النادي الذي شهد إجماع النخبة الواعية من الشعب وتزاحم فيه الناس للاستماع الى خطب المصلحين. [1]

وأما عن ردود الفعل حول هذا الانجاز الضخم فكانت واضحة خاصة بعد صدور القانون الأساسي للجمعية والذي كان بعيدا عن السياسة وبذلك فقد وقفت الإدارة الفرنسية موقف المهادن لتأسيس الجمعية ووافقت إدارة ميرانت "mirant" وهو مسؤول الشؤون الأهلية على طلبها بعد 15 يوم من تقديمه.[2]

وفيما يخص الطبقات الاجتماعية فقد وافقت على الجمعية واستحسنتها بل ورأت فيها المنقذ الوحيد للشعب

وأما عن النقاط التي اتفق عليها اجتماع 5 ماي 1931 م فكانت:

- تكوين لجنة للتنفيذ والتسيير.
- الشروع في إنشاء المدارس الحرة لتعلم اللغة العربية.
- الالتزام بإلقاء الدروس الوعظ لعامة المسلمين في المساجد الحرة.
-الكتابة في الصحف والمجلات.
- إنشاء النوادي العربية للاجتماعات.
- إنشاء فرق الكشافة الاسلامية في كامل أنحاء القطر الجزائري.[3]

وهكذا ظهرت جمعية علماء المسلمين في وسط من الحذر والانتباه الشديدين خاصة من طرف الإدارة الفرنسية رغم ترخيصها بعمل الجمعية لكنها بقيت مرتابة منها، أما رجال الطرقية الذين الفوا استغلال سذاجة الأمة فقد كانوا يسايرونها في الظاهر لكن الأكيد انهم كانوا يكيدون لها المكر في الباطن حسب ما ذهب اليه الابراهيمي، وظهرت نواياهم بعد عام فقط من العمل المشترك عندما شنوا حربا عليها وتحالفوا مع الإدارة الاستعمارية وقاموا بإنشاء جمعية مضادة لها.[4]

3-تاريخ تأسيس وأهم أعضاء جمعية العلماء المسلمين 1931:

أ-تأسيسها: يكمن السر وراء الإصرار على تأسيس جمعية العلماء والتوفيق في ذلك هو استعداد الأمة لظهور هذا المشروع العظيم فيها، فأنقذت إليها بشعره، وانجزت على بناء صرحه بنملة. وعملت مما أجملنا ذلك من مراحل هذا المشروع أن الشعور بها كان من نصيب طبقات مخصوصة وهم المتأثرون بالإصلاح، وفي ناحية محدودة من القطر وهي إقليم قسنطينة ثم تغلغل في الأقاليم الثلاثة في بضعة أعوام وتحول التفكير في مكان التأسيس من قسنطينة التي هي الجناح الى الجزائر التي هي القلب، لم يكن تأسيس جمعية علماء المسلمين خفيف الوقع على الجماعات التي ألفت استغلال جهل الامة وسذاجتها وعاشت على موتها ولكن التيار كان جارفا لا يقوم له شيء، فما كان من تلك الجماعات إلا أن تساير الجمعية في الظاهر وأسرت لها الكيد في الباطن.[5]

---

[1] - المرجع نفسه، ص187.

[2]- كريمة بن حسن، الحياة السياسية في قسنطينة من 1911إلى 1945، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسنطينة، 1992، ص 89.

[3]- كريمة بن حسن، المرجع السابق، ص 89.

[4]- النجاح، ع 1156، الأربعاء 20 ماي 1931 م، ص2.

[5]- جمعية العلماء المسلمين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، د ج، د ط، دار المعرفة،09، ص45.

حيث تعود فكرة تأسيس هيئة تجمع شمل العلماء المسلمين الجزائريين بحسب بعض الباحثين إلى أواخر الحرب العالمية الأولى، وبالتحديد سنة 1913م.[1] أين التقى ابن باديس بأرض الحجاز في موسم الحج بشخصين هما الطيب العقبي، ومُحَمَّد البشير الإبراهيمي، فتباحث معهما في أوضاع الجزائر وكيفية اخراجها منه، فكانت نتيجة تلك الاجتماعات المتتالية هو ضرورة إدراك القيام بنهضة عامة شاملة تستهدف التغيير في كل الميادين خاصة منها الحياة السياسية والدينية والعقلية ومن هذا عرفت هذه الفترة مرحلة وضع الأساس، وهي كذلك مرحلة التخطيط والتنظيم والضبط وعن هذه الفترة يقول الإبراهيمي" واشهد الله ان تلك الليالي من عام 1913 هي التي وضعت فيها الأسس الاولى لجمعية علماء التي لم تبرز إلا في عام 1931م".[2]

جاءت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في أدق مرحلة عبرتها الجزائر، وفي ظروف صعبة تتمثل في تنامي المشاريع الفرنسية التي تلغي وجود الجزائر تاريخا، وثقافا، وفكرا، وسعت الجمعية لإعادة تشكيل وبناء الأمة الجزائرية ثقافيا وحضاريا الذي يؤدي بدوره إلى بعث الوعي السياسي [3] وهكذا رتبت جمعية المسلمين أولياتها عكس الأحزاب التي انطلقت من بعث النشاط السياسي كمشروع وأولوية، لكن حتى وان اختلفت المشاريع فكان الهدف واحد هو طرد الاستعمار الفرنسي واسترجاع السيادة الوطنية.

وقد تولت اللجنة التحضيرية توجيه الدعوة إلى العلماء لتأسيس الجمعية" بنادي الترقي" بالعاصمة، وعلى الثامنة صباحا يوم الثلاثاء 5 ماي 1931، اجتمع بنادي الترقي اثنان وسبعون من العلماء والطلبة وأعضاء اللجنة، وغرض هذه الدعوة هو تحقيق الفكرة الموجودة منذ سنين، كان اجتماعهم بصفة جمعية عمومية لوضع القانون الأساسي للجمعية والبحث فيه، وعينوا للرئاسة المؤقتة الشيخ أبا يعلي الزاوي، وللكتابة مُحَمَّد الأمين العمودي ووضع القانون وتلاه كاتب الجلسة فاقترحت الجمعية العمومية بالإجماع وانفضت الجلسة على الساعة الحادية عشر ثم أعيد الاجتماع على الثانية زوالا لانتخاب الهيئة الإدارية طبقا لمنطوق ماجا به القانون الأساسي، واتبعت الجمعية طريقه الاقتراح ووقع الاختيار على الأساتذة التالية أسمائهم عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، مُحَمَّد الأمين عمودي، مبارك الميلي، إبراهيم بيوض، المولود الحافظي، مولاي ابن الشريف الطيب الهاشمي، السعيد البحري، حسن الطرابلسي، عبد القادر القاسمي، مُحَمَّد الورثلاني، وأعلنت الجمعية الذاكرة أسمائهم أن عملهم مقصور على انتخاب رئيس، ونائب رئيس، كاتب عام ومساعده، وأمين مال ومساعده، كما يعيدوا النظر في القانون الأساسي ويقدموه للحكومة للتصديق عليه، وانفضت الجلسة على الخامسة مساءا، وعلى الثامنة من نفس اليوم أيضا اجتمعت الهيئة الإدارية وانتخبت ابن باديس رئيسًا والبشير الإبراهيمي نائبه[4].

كما تم في هذه الجلسة وضع القانون الأساسي للجمعية حيث كلف البشير الإبراهيمي بصياغته، فصاغه في 147 مادة حرص فيها على عدم إظهار أي شبهة سياسية، وقد بين ذلك حسب المادة الأولى من الدستور الفرنسي الساري المفعول[5] هذه الجمعية مؤسسة حسب نظام وقواعد الجمعيات المبنية بالقانون الفرنسي المؤرخ في جويلية 1901م. وهذه الجمعية بأي حال من الأحوال لن تأخذ أو تتداخل في المسائل السياسية [6] فأقره

[1]- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين باكورة أعمالها، النجاح، العدد 1198، الجمعة 28 أوت 1931م، ص2.

[2]- يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا في التاريخ الجزائر، الجزء 2، د ط، ص 42.

[3]- مُحَمَّد ظاهري، الحركة الاصلاحية في الفكر الاسلامي المعاصر، ج3، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 11.

[4]- طيب مُحَمَّد أبو العرب، جمعية العلماء، النجاح، العدد 1156، الأربعاء 20 ماي 1931 م، ص2.

[5]- مُحَمَّد صالح الصديق، المصلح المحدد للإمام بن باديس، ديوان المطبوعات الجامعية، د م، 2009، ص 111.

[6]- الشيخ عبد الرحمن الشيخ عبد الرحمن الشيبان، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر 2009، ص 21.

فأقره بعد ذلك مع تعديلات بسيطة، وعرض على الجمعية العامة للمصادقة عليه فصودق عليه بالإجماع وقررت ترجمته الى اللغة الفرنسية، ليقدم الى الحكومة وبدورها صادقت ووافقت عليه بعد 15 يوم فقط [1] ويوم ميلاد الجمعية ليس كما قبلها.

وهكذا يمكن تحديد أهم عنصرين أساسين كانا وراء نشأة الحركة الإصلاحية الجزائرية هما: شخصية ابن باديس ونشاطه، وما تدعوه بفريق الشهاب، [2]وسبق بان اصدار الشهاب يمكن اعتباره نقطة انطلاق الحركة الاصلاحية الباديسية. حيث كان انصاره يقتصرون على فريق الشهاب وبعض من عشرات التلاميذ الذين أمكن لابن باديس تكوينهم ما بين 1918 و1925م.

وانطلاقا من سنة 1925 تجاوزت شهرة ابن باديس قسنطينة نظرا لنشاطه الدؤوب، وتوسعت معها شهرته الفكرية والدعوية واستكانت لها النفوس ترسخت عبر الوطن، فمنذ إنشاء جمعية علماء المسلمين (ماي 1931) قرر مؤسسها ابن باديس تنظيم حملة دعائية واسعة غايتها التعريف بها والظفر بالصيت الشعبي الأكبر. هذه الحملة كانت ساهمت أيضا أحسن أداة لنشر المذهب الإصلاحي. [3]

ومع ذلك لم يكن تأسيسها عجيبا، فقد كانت هناك عوامل كثيرة خففت من وطأة تلك الظروف القاسية، وقد أشار اليها الشيخ الابراهيمي في أربعة عوامل متتالية: [4]

1/ أثر دعوة الإمام مُحَمَّد عبده الذين تأثر بها المصلحين وكذا مؤلفات تلميذه الشيخ رشيد رضا التي كانت لها الأثر القوي للحركة الإصلاح في الجزائر.

2/ الثورة التعليمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد بن باديس والدعوة الى التغيير في المستقبل بشعار الإصلاح.

3/ التطور الفكري الذي طرأ على عقول الناس منذ الحرب العالمية الأولى.

4/ رجوع طائفة من المثقفين للجزائر الذين كانوا يعيشون في المشرق العربي ولا سيما الحجاز والشام من أبرزهم الإبراهيمي والعقبي.

ب-أهم أعضاءها:

-عبد الحميد بن باديس: ولد عبد الحميد بن مُحَمَّد المصطفى بن مكي بن باديس الصنهاجي في ربيع الثاني1308هـ 4 ديسمبر 1889م في قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري، من أسرة قسنطينية مشهورة بالعلم والثراء والجاه وبتاريخها المشرف، وأمه زهيرة بن جلول من أسرة معروفة في قسنطينة"، أما والده فهو مُحَمَّد المصطفى بن مكي بن باديس، وهو عالم ورجل دين، شغل منصب عضو في المجلس الجزائري الأعلى والمجلس العام، حفظ عبد الحميد القرآن الكريم في أول مراحل تعلمه بقسنطينة في سن الثالثة عشر من عمره على يد الشيخ مُحَمَّد المناسي" وقدم لصلاة التراويح على صغره سنه، وأخذ مبادىء العربية والإسلام على يد شيخه "حمدان لونيسي. [5]

الإمام ابن باديس سلفي في عقيدته، دعي إلى مذهب السلف في العقائد وعمل به أثناء تدريسه، وبرهان ذلك الكتاب الذي تركه بعنوان "العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية"، ولما كان ابن باديس سلفي العقيدة فإنه عمل على محاربة

---

[1]- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، 2009، ص42.

[2]- علي مراد، الحركة الإصلاحية في الجزائر، ترجمة مُحَمَّد يحياتن، دار الحكمة، د س، ص 91.

[3]- المرجع نفسه، ص-ص 166-167.

[4]- نورالدين ابو لحية، جمعية علماء المسلمين والطرق الصوفية، والتاريخ العلاقة بينهما، ط1، دار علي بن زيد للطب للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، 2015، ص ص 20-21.

[5]- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، د ج، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1400هـ - 1980م، ص 29.

الخرافة...وعمل على تربية الأمة بناء على منهج القرآن والسنة، فوجد تضييقا شديدا من السلطات الاستعمارية الفرنسية التي أحست بخطر الوعي الذي ينشره، فصادرت بعض مجلاته وأوقفتها وأصدرت قوانين منع تدريس اللغة العربية، فتصدى لهم ابن باديس بقلمه وخطبه، اليومية، وهو سياسي يكتب في المجلات والجرائد التي أصدرها عن واقع المسلمين خاصة في الجزائر، وقبل كل هذا هو المربي الذي أخذ على عاتقه تربية الأجيال في المدارس والمساجد، فأنشأ المدارس واهتم بها، بل كانت أهم أعماله، وهذا يدل على أن ابن باديس كان موسوعيا فاشتغل على التجديد، الإصلاح، التفسير، السياسة، وكذلك التربية وهذه الأخيرة أعطاها كامل وقته وجهده، وحسب رأيه فإنه بواسطة التربية الصحيحة المبنية على الإسلام تنهض الأمم ويصلح حالها[1].

ثم إن فكر ابن باديس تجاوز بعده الوطني، وامتد أثره إلى الأقطار الشقيقة القريبة منها والبعيدة، بفضل مجلته الشهاب، فتأثر بها الإخوان من حملة الأقلام ورجال الثقافة والعلم في هذه البلاد، وأثرت أيضا في الأجانب من الفرنسيين وغيرهم داخل الجزائر وخارجها.[2]

ومزال الى اليوم من يتبناه فكرا ويتبعه منهجًا

–البشير الابراهيمي: مُحَمَّد بن البشير بن عمر الإبراهيمي نائب ثم رئيس جمعية العلماء المسلمين، وعضو المجامع العلمية اللغوية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي وخطيب مفوّه، كاتب وأديب بليغ، عارف بالتاريخ واللغة وعلوم الدين، ولد في قصر الطير، في قبيلة ربعة الشهيرة بـ «أولاد إبراهيم» بدائرة سطيف، والتي يرتفع نسبها إلى إدريس بن عبدالله مؤسس دولة الأدارسة في المغرب. تلقى دروسه الأولى عن أبيه وعمه، ثم في زاوية ابن شريف في شلاطة بجبال القبائل، هاجر إلى المدينة المنورة (1911م) فأتم دراسته العالية فيها. ثم انتقل الى دمشق (1917م) وعمل أستاذا للأدب العربي بالمدرسة السلطانية. وكان من بين الزعماء العرب وقادة الفكر فيهم الذين التفوا حول الأمير فيصل بن الحسين وبايعوه زعيما للثورة العربية الكبرى إثر إعدام جمال باشا السفاح، الأحرار العرب في دمشق وبيروت سنة 1956 م، كما شارك في تأسيس المجمع العلمي اللغوي العربي سنة 1931م، [3]وفي نفس السنة عاد الى الجزائر وانقطع للخدمة العامة مع رائد النهضة ابن باديس وصحبه. زكان من أبرز جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 وانتخب نائبا لرئيسها. وفي مطلع الحرب العالمية الثانية (سنة 1940) نفاه الفرنسيون الى "آفلو" في جنوب الجزائر، ومات ابن باديس في نفس السنة، فانتخب لرئاسة جمعية العلماء خلفا له وهو في منفاه. واستمر معتقلا ما يزيد على ثلاث سنوات، ثم اعتقل وسجن وعذب سنة 1945[4] وفي هذه الفترة من حياته أنشأ عددا كبيرا من المدارس العربية وأهمها معهد عبد الحميد بن باديس الثانوي بقسنطينة، كما تولى مسؤولية جريدة «البصائر» الذائعة الصيت في المغرب والمشرق والتي كانت من أقوى الصحف العربية دفاعا عن قضايا العروبة والإسلام. وفي سنة 1952 رحل الى المشرق وجال في أكثر بلدانه ثم استقر بالقاهرة. واندلعت نار الثورة الجزائرية التحريرية (1954) فانتدب من قبل قيادتها للقيام بمهمات لدى الدول العربية والإسلامية، فقام بها أحسن قيام. وإثر استقلال الجزائر (1962 م) عاد اليها وأقام بالعاصمة مريضا وقد نال منه الجهد والإعياء إلى أن توفي. من آثاره "عيون البصائر" والاطراد والشذوذ في اللغة" و "أسرار الضمائر في العربية" و"التسمية

[1]– المصدر نفسه، ص 30.

[2]– المصدر نفسه، ص 30.

[3]– عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، د ج، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1400هـ–1980م، ص 13.

[4]– عادل نويهض، المصدر السابق، ص 13.

بالمصدر" و "كاهنة أوراس " و"رسالة الضب "وفصيح العربية من العامية الجزائرية " و"أرجوزة "في 36 ألف بيت ضمنها تقاليد الشعب الجزائري وعاداته. الخ كما له مقالات كثيرة نشرت في صحف بالمغرب والمشرق.[1]

– مبارك الميلي: ولد مبارك الميلي في 23 ماي 1896 الموافق ل 1316م بقرية "زمان ودوار أولاد مبارك بالميلية الواقعة شمال قسنطينة، ولاية جيجل حاليا، هو الشيخ مبارك بن مُحَّد بن رابح بن علي إبراهيمي لقبه الميلي نسبة إلى مدينة الميلية بشرق الجزائر، بدأ تعليمه بدوار أولاد مبارك بمدينة الميلية، وعكف منذ صغره كغيره من الكثير من أبناء الجزائر في ذلك الوقت على حفظ القرآن الكريم، فأتم حفظه على يد الشيخ أحمد بن الطاهر مزهود في جامع الشيخ عزوز مسقط رأسه، لينضم إلى دروس الشيخ الإمام مُحَّد الحميد بن باديس رحمه الله بالجامع الأخضر.[2]

وكان الأستاذ مبارك الميلي أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأحد أعضاء مجلسها الإداري حيث عين أمينا ماليا للجمعية بعد إعلانها، لينخرط في النشاط الإصلاحي رسميا في الجزائر عبر كل ترابه، فقد كان إماما خطيبا ومعلما ومؤرخا وإداريا مخلصا.[3]

ظل الشيخ يتحدى ويقاوم المرض الذي أعياه وهو في قمة عطائه العلمي ونشاطه الإسلامي للتربية والتعليم بقسنطينة، توفي بها في التاسع من فبراير 1945.[4]

–الطيب العقبي: "هو الطيب بن مُحَّد بن إبراهيم بن الحاج صالح بن إبراهيم كما ترجم عن نفسه وعن عائلته التي ذكر أنها تنحدر من أوسط سكان البلدة، فلا هي أعلاها ولا هي أدناها أصل من سكن بلدة سيدي عقبة من جذورنا من أولاد عبد الرحمن بجبل أحمر خدو بالجهة التي تسمى منه باسم كياش.[5]

والطيب العقبي أحد الرجال الأوائل الذين ساهموا بقوة وبعمق في نشر مبادئ الحركة الإصلاحية وتأصيلها وإقامة قواعدها والذود عنها بالخطبة وبالدرس والموعظة وبالكتابة في الجرائد والمجالات "، فمنذ عودته إلى أرض الوطن سنة 1920 سكن مدينة بسكرة وتولى التدريس في بعض مساجدها " كما كتب في صحيفة الحق وصدى الصحراء، توفي سنة 1927 أسس الطيب العقبي جريدة الإصلاح في مدينة بسكرة وكان العقبي ممثلا للعلماء في الجزائر العاصمة، قبل خلق جمعيتهم حيث أصبح معروفا بأنه أكثرهم تأثيرا وخطابا" ورابط بعد 1927 بنادي الترقي بالعاصمة وواعظا ومرشدا"، وقد وصف الشيخ مُحَّد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي بعد زيارته للعاصمة الجو العام الذي أصبح عليه النادي بفضل الخدمات الجليلة التي قدمها العقبي للوافدين.[6]

توفي العقبي وأمته حينذاك تخوض معركتها الحاسمة في ثورتها المباركة وكانت جنازته حاشدة مشت وراءها مدينة الجزائر والجماهير التي استطاعت الوصول من المدن المجاورة حيث حزنت الجزائر والمغرب العربي لوفاته حزنا شديدا".[7] مات ولكن فكره مازال حيًّا لم ولن يموت.

---

[1]–المصدر نفسه، ص 14.

[2]– علي دبوز، أعلام الاصلاح في الجزائر، ج 3، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1398هـ –1978م، ص 23.

[3]– المصدر نفسه، ص 35.

[4]– مبارك الميلي، البصائر، ع 33، ص 256.

[5]– مُحَّد الطاهر فضلاء، الطيب العقبي رائد لحركة الإصلاح الديني في الجزائر، سحب للطباعة الشعبية للجيش الجزائر، 2008، ص 16.

[6]– عبد الحليم الصيد، معجم أعلام بسكرة، دار النعمان، الجزائر، 2014، ص 172.

[7]– علي دبوز، المصدر السابق، ص 124.

-الأمين العمودي: هومن مواليد وادي سوف سنة 1890م فحسب الرسالة التي بعث بها إلى زميله الشيخ مُحَّد الهادي الزاهري السنوسي التي يتحدث فيها عن حياته: «أما حياتي فحياة كل مسلم جزائري، حياة من لا يأسف على أمسه ولا يغتبط بيومه .... وها قد دخلت السابعة والثلاثين من عمري ولم أظفر بعقد هدنة مع الدهر...» وهي مؤرخة في بسكرة 14 جويلية 1927.[1]

بدأ تعليمه الأول في مسقط رأسه حيث درس في صباه مثل أقرانه القرآن الكريم بالجامع، وأخذ العلم أيضا على يد عمه الشيخ عبد الرحمن العمودي، العالم التصوف الذي عرف بتفسير القرآن، ولما بلغ سن الدراسة التحق بالمدرسة الرسمية الابتدائية في 01/10/1902 حسب التسجيل المدرسي رقم 370 والتي تخرج منها حاصلا على الشهادة وقد اختار العمودي الصحافة ذات اللسان العربي الأصيل.[2] اللغة التي يفهمها ويفهمها السواد الأعظم من أمته.

لقد توفي مُحَّد الأمين العمودي وهو حامل وسام الشرف واسم الشهيد المدافع عن وطنه، حيث جعل نصب عينيه عزة الجزائر قبل كل شيء، فبرغم من تخليه عن مجال السياسة وانعزاله عن الحياة السياسية والإعلامية، إلا أن أعداء الوطن لم ينسوا ماضيه فقرروا عدم تتركه في سبل حاله، وبالفعل نجحت منظمة اليد الحمراء الإرهابية من تخلص منه نهائيا.[3]

4-أهداف ومبادئ الجمعية:

بالنسبة لأهداف الجمعية فقد اختلفت باختلاف اتجاهات أتباعها وانتماءاتهم، فبعضهم نظرا اليها وقصرها على التعليم العربي ومحاربة الخرافات لتنقية الإسلام مما لحقه من بدع وأباطيل، وبعضهم قاربها بالنشاط السياسي ومحاربة السياسة الاستعمارية ونشر فكرة تكوين الدولة الجزائرية، وذهب آخرون الى القول بأن العلماء عبارة عن مجموعة من الاصناف المثقفين[4]

وقد حدد القانون الأساسي أهدافها في محاربة الآفات الاجتماعية وقد نص الفصل الرابع من القسم الثاني على أن هذه الجمعية تهدف إلى محاربة كل البلايا الاجتماعية وكل ما هو ممنوع دينيا أوما هو متعلق بالأخلاق او تمنعه قرارات الجمعية[5]

وقد ذكر البشير الإبراهيمي بتفصيل مهم جدا هذه الأهداف، ونوع المشاريع التي تقوم بها الجمعية على أساسها وتسعى الى تحقيقها، وكيف اختارت بعد ذلك الجمعية المنهج فقد كتب تحت عنوان "نشوء الحركة الإصلاحية في الجزائر" ويذكر أن الأوساط الإصلاحية في ذلك العهد كانا يتجاذبان رأيان يلتقيان في المقصد ويختلفان في المظهر العلمي. للإصلاح وكيف يكون؟[6]

أولهما، فيرى صرف القوة كلها نحو توجيه جهود متضافرة الى تعليم متميز، وتكوين طائفة جديدة منسجمة التعليم مطبوعة بالطباع الإصلاحي علما وعملا، مدربة على أساليب الدعوة الإسلامية والخطابة العربية.

---

[1]- مُحَّد الاخضر عبد القادر السائحي، مُحَّد الامين العمودي شخصيته المتعددة الجوانب، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص ص 20 21.

[2]- المرجع نفسه، ص 21.

[3]- مُحَّد صلاح الصديق، شخصيات فكرية وادبية، دار الامة، الجزائر، 2002، ص137.

[4]- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945، دراسة تاريخية أيديولوجية، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والاشهار، الجزائر، 1996، ص 111.

[5]- المرجع نفسه، ص 111.

[6]-نور الدين أبو لحية، جمعية العلماء المسلمين وطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، دار الانوار، ط2، 1437هـ-2001م، الجزائر، ص151.

وأما الثاني، فهو رأي استئصالي هجومي ينطلق من (أخذ المبطلين خصما والهجوم عليهم وهم عارون، وإسماع العامة المغرورة صوت الحق فصيحا غير مهاجم.

وتذكر المصادر بأنّ هذه الجمعية بالإضافة إلى كونها دينية فهي تهدف الى تثقيف وتهذيب المسلمين وتدعو القوم إلى ترك الخرافات الدخيلة على الإسلام والرجوع الى الأصول الاسلامية البسيطة الأساس، النقية المبادئ وان هذه الجمعية ليس قصدها الإصلاح العقائدي وحده بل ترمي الى تثقيف وتذهيب القوم دينيا وأدبيا وعلميا.[1]

أما الإمام عبد الحميد بن باديس فقد تحدث عنها في مواقف متعددة ومنها خطابه في اليوم الثالث من الاجتماع التأسيسي لجمعية علماء المسلمين الجزائريين حيث ذكر: أنّ من مقاصدها جمع شمل هذه الطائفة متفرقة لتعاون على ما هي مهيأة له من نصح الأمة وارشادها لما ينفعها في دينها ودنيا... وفي خطاب آخر قال: إن غاية الجمعية هي اصلاح الفاسد وتقويم المعوج وإرشاد الضال وإصلاح شؤون أهل العلم. وقال ايضا أن غايتها: هي محاربة الخرافات والشعوذة التي عمت البلاد نتيجة الطرقيين.[2]

وتحدث الابراهيمي عن اهدافها: ان الجمعية جمعية علمية دينية تهذيبية، فهي بالصفة الأولى تدعو للعلم... وهي بالصفة الثانية تعلم الدين والعربية...والتي تدعو إلى مكارم الأخلاق. وذكر أيضا أن جمعيتكم هذه أسست لغايتين شرقيتين هما إحياء مجد اللغة العربية.... وإحياء مجد الدين الاسلامي[3]

أما الشيخ مُحَّد خير الدين فحدد أهدافها في:" احياء الاسلام الصحيح وإحياء اللغة العربية وآدابها وإحياء التاريخ الإسلامي وأثار رجاله المخلصين"[4]

المبادئ التي ناضلت من أجلها جمعية العلماء المسلمين:

يمكن اختصار المبادئ التي ناضلت من أجلها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الشعار المعروف الذي كانت تكتبه على غلاف البعض من كتبها المدرسية: الاسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا.

وكانت جريدة البصائر، وهي لسان حال جمعية العلماء المسلمين تحمل في صدر صفحتها الأولى تحته العنوان مباشرة الشعار التالي: العروبة والإسلام، وذلك بتقديم لفظ العروبة على لفظ الإسلام، فاللغة العربية هي لغة القرآن الكريم وبالتالي هي لغة الإسلام.[5]

وطبعا شعارها يعبر عن المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية ماضيا وحاضرا ومستقبلا، فقد ناضلت جمعية العلماء المسلمين نضالا صامدا ضد كل ما يمس مقومات الشخصية الجزائرية.

أوقفت السلطات الاستعمارية كل الجرائد التي أصدرتها جمعية العلماء المسلمين عام 1933 هي: السنة-الشريعة-الصراط واحده تلو الأخرى بحيث لم يصدر منها إلاّ اعداد قليلة، وهذا لأنّ مجلة الشهاب شنت حملات ضاربة ضد التجنيس والإدماج،

[1] - المرجع نفسه، ص 152.

[2]- المرجع نفسه، ص152.

[3]- مُحَّد البشير الإبراهيمي، سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام النادي الشرقي بالجزائر، مصدر سابق، ص ص 76-77.

[4] - المصدر نفسه، ص 77.

[5]- تركي رابح، التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عنابة، مجلة بوتة للدراسات، ع2، نوفمبر 2004، ص 11.

والعمل على التحذير من الزواج بالأوروبيات، وبيان أخطارها على الشخصية الجزائرية والأطفال الجزائريين. وكتب الشيخ عبد الحميد بن باديس يقول:" العروبة والاسلام الفضيلة هذه أركان نهضتنا، وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي مبعث حياتنا ورمز نهضتنا فما زالت هذه الجمعية منذ كانت نفق هنا في الدين، وتعلمنا اللغة، وتميزنا بالعلم وتحلينا بالأخلاق الإسلامية العالية وتحفظ علينا جنسيتنا وقومتينا، وتربطنا بوطنيتنا الإسلامية الصادقة".[1]

يمكن استخلاص المبادئ الإجمالية لجمعية العلماء المسلمين من مقال كتبه رئيسها الثاني الشيخ مُحَمَّد البشير الإبراهيمي، بعد وفاة رئيسها الأول عبد الحميد بن باديس في جريدة البصائر تحت عنوان: جمعية العلماء، موقفها من السياسة والساسة قد جاء فيه ما يلي:" يا حضرة الاستعمار أن جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده وتفهيم حقائقه، واحياء آدابه، وتاريخه، وتطالبك بحرية التعليم العربي، وتدافع عن الذاتية الجزائرية التي هي عبارة عن العروبة والإسلام مجتمعين في وطن، وتعمل لإحياء اللغة العربية وآدابها، وتاريخها، في موطن عربي بين قوم من العرب وتعمل لتوحيد كلمة المسلمين في الدين والدنيا..."[2]

كتب مبارك الميلي يوضح مبادئ الجمعية قائلا:" جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعمل للمحافظة على الإسلام النقي من الخرافات، ومن كل البدع، وعلى العروبة الخالدة العزيزة، على كل عربي وكل مسلم، هي جمعية الأمة المسلمة الجزائرية.[3]

[1]- البصائر، العدد 83، بتاريخ 30 سبتمبر 1937، ص1.

[2]- البصائر، العدد 3، بتاريخ 22 اوت 1947، ص1.

[3]- البصائر، العدد 92، 1937، ص1.

خلاصة:

بعد هذه الدراسة الموجزة والوقوف على أهم المحطات التأسيسية وبنيتها التكوينية الدينية الاجتماعية الثقافية والفكرية من تاريخ الطرق الصوفية والتيار الإصلاحي الذي تمثله جمعية العلماء المسلمين اللذين هما الان من مكونات النسيج الوطني، تم التوصل الى مجموعة من النتائج الخاصة بهذا الفصل هي:

-تعتبر الطرق الصوفية والجمعية من أهم المؤسسات العلمية والإصلاحية والدينية الجزائرية التي خدمت الهوية الوطنية وساهمت في المحافظة عليها.

-لعبت الطرق الصوفية والتي من أهمها القادرية والرحمانية التيجانية دورا فاعلا في التاريخ السياسي والثقافي للجزائر.

-إن نشأت الحركة الإصلاحية في الجزائر لم يكن وليد الصدفة بل جاء نتيجة تجمع مجموعة من العوامل التي كانت دافعا للعلماء لتغيير الواقع الجزائر المأزوم

-هناك جوانب كثيره للاتفاق بين الطرقيين والإصلاحيين لعلّ أهمها المرجعية الدينية الواحدة من كتاب وقرآن والسنة نبوية والاعتزاز والعمل بالتراث، لكن يبقى الاختلاف واضحا في الوعي باللحظة التاريخية تأويل الشرع، وفي الوسائل والأهداف من ناحية الدقة والوضوح، وثقافة التجديد والتماهي مع روح العصر، وتحدّي الواقع والانفتاح على المشرق الإسلامي والاحتكاك بمفكريه والتأثر بنهضته، وقوّة التأثير في الجزائريين، واستغلال الصحافة والاعلام، والتضحية والعمل المتواصل والجدية فيه والإنتاج الفكري المستنير... مميزات لا توجد إلا عند جمعية العلماء المسلمين.

الفصل الثاني: طبيعة ووسائل الصراع بين الطرقيين والإصلاحيين من جمعية علماء المسلمين(1919-1939م)

تمهيد

- أولا: بوادر ظهور الصراع بين الطرقيين والإصلاحيين.
- ثانيا: وسائل الصراع بين الطرقيين والاصلاحيين.
- ثالثا: مظاهر الصراع بين الطرقيين.

خلاصة

تمهيد:

تمثل تاريخ 1931 سنة تأسيس جمعية العلماء المسلمين ذات التوجه الإصلاحي، وإن شأت القول بداية تأطير عمل الجمعية في شكل قانوني منظم ووفق رؤية وأهداف واضحة، وبالتالي الجمعية هي خير من يمثل الإصلاحيين وفكرهم، والى حدّ ما يمكن القول أنّ الجمعية ولدت من رحم الطرقيين وكبرت في كتابيها ونواياها وهي أسبق منها في الوجود وأكثر منها شعبية وانتشارا وتغلغلا في الأوساط الشعبية، هذه المقدمات توحي أن التوافق هو من يحكم العلاقة بين الطرفين، لكن الحقيقة عكس ذلك فما إنّ تأسست الجمعية حتى انفجر الخلاف بين الطرفين وتقول مصادر الموضوع أنّ الخلاف كان عميقا وظاهرا وأنّ فترة توافق لم تدم طويلا بين الطرفين، فلم تكدّ تنقضي السنة الأولى من تأسيس الجمعية حتى دب الخلاف بينهما، علما انه كان متواجد منذ البداية لكنه كان خلافا لا يعدو بين أفراد ولم يتطور ليصبح على مستوى صراع عقائدي، صراع البرامج الأفكار والأهداف، منتخبين فيها عدة وسائل، الى درجة أن قسمت البلاد إلى حزبين...طرقيين واصلاحيين

وقد اختلف المؤرخون حول حقيقة هذا الصراع وأسبابه، فمنهم من رأى أنّ سبب الاختلاف كان جسيما حدّ الوصول الى المسائل العقائدية ومنهم من نزل بمرتبه الخلاف وأسبابه الى حد أن رآه رحمة وهذا ما سيتناوله هذا الفصل.

الفصل الثاني: طبيعة ووسائل الصراع بين الطرقيين والإصلاحيين من جمعية علماء المسلمين(1919_1939م)

أولا: طبيعة الصراع بين الطرقيين والإصلاحيين في الجزائر:

1-أسباب وعوامل الاختلاف والصراع بين الطرقين والاصلاحيين: وما إن انقضت السنة الأولى من تأسيس الجمعية حتى دب الصراع مجددا بين الطرقيين والإصلاحيين ونقل الإبراهيمي حادثة انقسام العلماء على كتلتين بقوله: "وانقضت السنة الأولى في التنظيم والتنسيق وبدأت الأعمال تظهر مراتب الرجال فاضطلع المصلحون وحدهم بالأعمال التمهيدية ولما جاء أجل الانتخاب للدورة الثانية هجم العلاويون ومن شايعهم على ضلالهم تلك الهجمة الفاشلة بعد مكائد دبروها وغايتهم استخلاص الجمعية من أيدي المصلحين وجعلها طرقية علوية. واستخدامهم هذا الاسم الجليل في مقاصدهم الخاطئة كما هي عادتهم في إلباس باطلهم لباسا الحق، ووقف المصلحون لتلك الهجمة وقفة حازمة أنقذت الجمعية من السقوط. [1]

فالإبراهيمي يرى أن الطرقيين لم يكونا راضيين على موقعهم في الجمعية لذلك انتظروا الدورة الانتخابية الثانية للجمعية ليعبروا عن رأيهم. وهذه الحادثة صورها الإبراهيمي على أنها مؤامرة لا باعتبارها حقا قانونيا لكل منتسب للجمعية[2]، صحيح ليعبروا عن رأيهم ولكن أيّ تعبير؟

وينقل المؤرخون أن الصراع كان محتدما بين الطرفين قبل تأسيس الجمعية، ولعل من أبرز ما يوحي بذلك حادثة السطو على الإمام الرئيس عبد الحميد ابن باديس، حيث يذهب أحمد حماني الى أن الحادثة جاءت بعد الحملات التي شنها عبد الحميد ابن باديس على الطرق وأن الصدام دواعيه شاملة، فأعلن ابن باديس أنه يعمل لهدفين هما ديني ودنيوي، أما الهدف الديني فإنه حاربها بعدما تيقن من خطورتها وخطورة ما تروجه من مبادي باطنية والدعوة إلى مذهب الحلول ووحدة الوجود، أما الهدف السياسي فقد حاربها لاتصالها بالقوة الاستعمارية والتحالف معها والتعاون بينهما على العمل المنسق.[3]

ونص الحادثة نقله أحمد حماني على لسان أحد الحاضرين بقوله في الرابع عشر من شهر ديسمبر 1926 وقعت محاولة اغتيال شنيعة كادت تودي بحياة الأستاذ الإمام من طرف أحد المجرمين المنتسبين لأحدى الطرق الصوفية الغلاة بالجزائر بإيعاز من السلطة الفرنسية التي ضاقت ذرعا بنشاط الأستاذ في الميدان الإصلاحي والوطني... حيث جاء هذا المجرم من مدينة مستغانم وركب من الجزائر وترصد الشيخ في طريقه إلى منزله بعد درس التفسير وبينما كان الشيخ يسير في غفلة مرتديا برنوسه وفي طريق ضيق إذ به يفاجا بهراوة تقع على رأسه " لولا أن نجاه الله منها.[4]

وقد كان لهذه الحادثة أثرها السيئ في نفوس الإصلاحيين وكانت كفيلة بقطع شعرة معاوية كما يقول المثل، وقطع هذا التوافق الذي ربما لم يكن أصلا، رغم أن الحادثة قام بها شخص واحد ينتمي لطريقة واحدة ولا دليل على أنه كان في ذلك مأمورا من مشايخ الطريقة ولا أهل الرأي فيه والا كان في امكانهم أن يوفروا ظروفا أفضل من الظروف التي وقعت فيها ليبعدوا عن أنفسهم التهمة.

---

[1] – محمد البشير الابراهيمي، آثار الامام محمّد البشير الابراهيمي (1929-1940) جمع وتحقيق نجله أحمد طالب الابراهيمي، ج1، ط1، لبنان دار الغرب الإسلامي، 1997، ص188

[2] – المرجع نفسه، ص188.

[3] – أحمد حماني، صراع بين السنة و البدعة او القصة الكاملة لسطو بالإمام عبد الحميد ابن باديس، ج1، الجزائر، دار البعث، 1984م، ص60

[4] – المرجع نفسه، ص61.

وفي سبتمبر من عام 1932 طرد عمر إسماعيل من الجمعية لمعارضته الصريحة لرئيسها، وفورا اقترح مُحَمَّد الحافظي تأسيس جمعية جديدة للجزائريين أسموها جمعية علماء السنة وانسحب خمسمائة عضوا من وراء ظهر عبد الحميد ابن باديس والتحقوا بمعارضيه ليبدأ الجدال حول الإسلام الصحيح[1]. ويبدو من رقم المنسحبين أن الجمعية قد ضمت الكثير من الطرقيين وحاولت احتوائهم غير أن محاولتها قد باءت بالفشل. وهنا يثار السؤال التالي من كان وراء هذا العبث داخل الجمعية وصفوفها؟ وهل كان هناك مندسون من الأجهزة الأمنية الفرنسة؟

لتبدأ من جديد الصراعات بين الطرفيين والإصلاحيين حول البدع والمنكرات المتعلقة بالكرامة والوسيلة، والزيارة، والصيام والإفطار، مما كان اشترط عدم الخوض فيه عند تأسيس الجمعية، وأثبت بالفعل في صميم قانونها وكان الشيخ الطيب العقبي من الذين أمعنوا في الإساءة إلى الطرقيين حتى أنه قد بلغت به الجرأة أن يقول في درس من دروسه بنادي الترقي وبمحضر الشيخ مصطفى القاسمي والشيخ ابن عليوة ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى ولا شيوخ الطرق والطرقيين حتى تتبع ملتهم، وهذا ما جعل رئيس الجمعية يتنصل في كل مرة من مثيري تلك الموضوعات محملا أصحابها مسؤوليتها دون الجمعية[2]

وقد شغلت المسائل العقدية حيزا واسعا من الجدل بين الطرفين كزيارة القبور والتوسل بالأولياء وبناء الأضرحة والقباب، والقراءة على الجنائز والكرامات والزردات. ومن البين أنّ هذا الصراع يعود إلى رؤيتين مختلفتين من حيث الأهداف والوسائل والأفق الذي يرسمه كل طرف وهناك من عبر عن ذلك بأن العلماء وأهل الإصلاح عامة يمثلون خريجي الزيتونة والقروين والمتأثرين بالفكر النهضوي المشرق العربي ويعتمدون الفهم والتجديد وكانوا من المتمدنين في سلوكهم ومعاملاتهم، ويقابلهم أهل الطرق الذين يعتمدون على إسلام العادات وتقديس الأموات وأهواء المرابطين.[3]

وجاء في جريدة البصائر ما يدلّ على دور العامل العقدي في تأجيج الخلاف بين الطرفين: هذا وإن الخلاف الذي بيننا وبين فئة من إخواننا طلبة العلم في هذا الوطن دائر حول ما بيناه حول عقيدتنا في الأولياء التي اتخذوها ذريعة إلى الطعن فينا بأننا نكرهم ونشكر الكرامة ليهيجوا علينا العامة التي وصلت عن الله إلى الأولياء والأموات تطلب منهم ما لا يطلب إلا من الله وتتمسح بقبورهم وتوابيتهم ...ويؤدون النذور والزيارات أعلى العطايا من الدراهم والطعام متوسلين بهم لتقضي حوائجهم فإذا قضيت تسبوا ذلك لولي الميت الدفين في تلك القبة والشريعة الإسلامية خلاف ذلك كله.[4]

لتشن بعد ذلك الجمعية حملة على أهل البدع والطرائق المبتدعة ونظرت لي أصحاب الطرق على أنهم استعمروا روح الأمة وأفكارها وعقولها[5]، وفي هذا لا فرق بنهم وبين الاستعمار هذا الأخير الذي انفرد بتكميم الأفواه وتقييد الحريات وسلب الخيرات، ليترك للطرقيين مهمة الحجر على عقول الأمة وتعطيل العقول باسم الدين، وكان موقف الجمعية واضحا وينم عن عداوة ظاهرة للطرق الصوفية وذلك بسبب لتجديد والدعوة الى الفهم الصحصح للشرع وللدين

[1] – مازن صلاح المطبقاني، عبد الحميد بن باديس مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية، الجزائر، عالم الأفكار، 2013م، ص 183.

[2] – عبد الرحمن بن العقون، الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصرة (1920–1936) ،ج1،الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 203

[3] – المرجع نفسه، ص225.

[4] – البصائر: العدد الخامس، بتاريخ 31 جانفي 1936 م، دار الغرب الإسلامية، ص 44

[5] – المرجع نفسه، ص44.

واعتبرت الجمعية أن الأمة بات لها عدوين يعملان لإبادتها ومحوها عدو منها وعدو من غير جنسها، فهي في واجهتين تدافع عن كيانها ولا سلاح لها غير إيمانها ولكن أكبر بلائها أن يكون أبناؤها من أعدائها[1]. وهذا من المبالغ فيه على اعتبار أن الجمعية ناصبت العداء للطرق الصوفية ونسبت اليها كل البدع.

واعتبرت الجمعية أيضا أن الإصلاح لا يكون إلا بالانتقاد فيقولون لقد وجدنا أنفسنا في خطتنا مضطرين إليه وقد كانت وجهتنا الأولى الى النقد الديني للاعتقادات وقد كان همنا الأول تطهير عقيدة التوحيد من أوصار الشرك القول والفعلي والاعتقادي.[2]

ولعل إتباع سياسة الانتقاد والحروب الكلامية والردود على المقالات بين كلا الطرفين هي التي صعبت المهمة وأحدثت الشرخ وأطالت مدة الصراع، ويمكن القول أن سياسة الاحتواء التي بدأتها الجمعية في بدايتها كانت كفيلة بلم شمل العلماء وإحداث الاصلاح المنشود.

وبالعودة إلى الهدف الأسمى الذي تأسست من أجله الجمعية فهو محاربة البدع والمنكرات، فهدف الجمعية هو الإصلاح الديني بأوسع معانيه الذي كان يعمل له المصلحون فرادى وإنما كانوا مسيرين بالفكرة نفسها مسندة بفكرة لا تستند على نظام مقرر وبرنامج محرر.

أما فيما يخص زيارة القبور قال أبو مُحَمَّد الجويني والقاضي عيسي والقاضي عياض والقاضي أبو بكر ابن العربي قال في كتاب القبس على الموطأ" ولا يقصد الانتفاع بالميت فإنها بدعة". فزيارة القبور مضبوطة في الفقه وحكمها الجواز بأدبها وشروطها وأما التوسل والوسيلة فأنه لم يشرع في الإسلام الأول الذي جاء به مُحَمَّد ﷺ ومن بعده ولم يثبت عنهم أنهم طلبوا شيئا من النبي بعد موته، أما القراءة على الجنائز فحكمها عند الإمام مالك أنها مكروهة، وأنها ليست من عمل السلف الصالح؛ وإنما الذي يجب الالتفات إليه أن أهل السنة وغيرهم في اتفاق على أنه لا يجب الاعتقاد بوقوع كرامة معينة على يد ولي بعد ظهور الإسلام ويجوز إنكار هذه الكرامة وخوارق العادات.[3]

أما إقامة الزردات فحكمها أنها كانت من أثر التخلف والانحطاط والغفلة وجهل العصور الأخيرة، وكل العلماء المسلمون والطرقيون يعلمون أنها ليست من الإسلام في شيء لما فيها من مظاهر الشرك ودعاء الأولياء والصالحين، وما فيها من الحضرة والتهوال وذبح الذبائح لغير الله فتصبح حراما لأنها ذبحت لغير الله وغايتها التضرع للأولياء والعبادة لهم وهم لا يستطيعون أن يمدوا أحدا بالبركة واعتقاد ذلك شرك. والعلماء المصلحون ينكرون هذا على من فعله وقال به مثل بعض الطرقيين أو غيرهم[4]

كما حاربت الجمعية السلوك النفعي والانحراف العقدي الذي تمارسه الطرقية المنحرفة، وهذا منذ وقت مبكر فاعتبروهم قوما احترفوا التجوال لطلب الاسترزاق على حساب الأمة الشعبية التي تعتقد أن الكون بأيدهم والنفع والضرر منوط برضاهم وادخلوها في الشرك ضف إلى ذلك الشقاق الذي أحدثوه بين أفراد الأمة حتى صارت ترى التيجاني لا يصلي وراء العزوزي والقادري يعتقد ضلال غيره وأنه لا نجاة إلا لمن تمسك بشيخه.

والجمعية بتحريمها ومنعها إقامة مثل هذه العادات والتقاليد المسيئة للإسلام الصحيح ومستندة الى أدلة من الشرع الإسلامي، هي دعوه الى التعقل والعمل بالأسباب وبهذا هي تعمل لأجل غاية أوسع وأعظم مفادها أنّ العمل الجادّ والأخذ بالأسباب هو الكفيل وحده بتحسين بظروف الحياة وتحرير الاستعمار، وأنّ هذا التحريم لا يكون بالتوسل للأموات ولا بزيارة القبور والأضرحة، ولا بانتظار الكرامات والمعجزات.[5]

---

[1] – أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وآراء جمعية العلماء المسلمين للشيخ العربي التبسي، ج3، الجزائر، دار الهدى 2011، ص273.

[2] – المرجع نفسه، ص273.

[3] –سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها ،1989م، دار المعرفة، الجزائر، 2004م، ص47.

[4] –أحمد حماني، فتاوى الشيخ العلامة أحمد حماني، م1، عالم المعرفة الجزائر، 2013م، ص112.

[5]- حميدي أبو بكر الصديق، المرجع السابق، ص 232.

2-انحراف الطرق الصوفية وعلاقتها بالاحتلال الفرنسي:

أ-الانحراف الطرقي: يعتبر المصلحون أن الطرق الصوفية هي" بدعة لم يعرفها السلف، ومبناها كلها على الغلو في الشيخ، والتحيز لأتباع الشيخ، وخدمة دار الشيخ وأولاد الشيخ، إلى ما هنالك من استغلال، ومن تجميد للعقول، وإماتة للهمم وقتل الشعور.[1]

تدل كلمة البدعة في مفهوم الإصلاحيين على الشيء المحدث في الدين الذي لم ينص عليه القرآن الكريم لم يرد عن الرسول ﷺ ولم يسنّها الخلفاء الراشدون والأوائل. ويضربون الأمثلة على ذلك، وهي أمثلة تقترب كثيرا من الأمثلة التي تذكرها السلفية المحافظة، بل كما يذكرها الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب خصوصا، يقول: في الآثار من الناس من يخترع أعمالا من عند نفسه ويتقرب بها الى الله مثل ما اخترع المشركون عبادة الأوثان بدعائها والذبح عليها والخضوع لديها وانتظار قضاء لتقربهم إلى الله زلفى .... وكما اخترع طوائف من المسلمين الرقص والزمر والطواف حول القبور والنذر لها والذبح عندها ونداء أصحابها وتقبيل أحجارها ونصب التوابيت عليها وحرق البخور عندها وصب العطور عليها فكل هذه وأصحابه من اختراعات فاسدة ليست من سعي الآخرة الذي كان يسعاه مُحَمَّد ﷺ بعده فساعيها موزور غير مشكور.[2]

وفي مقال نشر في جريدة البصائر تحت عنوان "بعض البدع التي يجب على المسلمين أن يشملها حضرة الأزهر شيخ الأزهر مُحَمَّد أبي الفضل * دخله" ... ما يفعله الآن منذ الصباح أمامه. من الظالمين، وقراءة القرآن الكريم، ونحو ذلك، لا يجوزه الشرع، ومخالف للسنة، ومخالفة لعمل السلف الصالح، لأن السنة التالية. الجنازة صمت وتأمل، وعلى هذا تمت أعمال السلف الصالح، وكذلك الاجتماع مع نصب الخيام كعلامة للتعزية والتباهي، وتلاوة القرآن مع طرد الأرواح الشريرة التي يتم إجراؤها. في هذه الأماكن. المجتمعات وأخذ المال والممتلكات هو أجر لذلك. يعتبرها سنة وعرف. لا يأتي من السنة ولا من الحسنات. على العكس من ذلك يذهبون لمن لديه تعصب في بيته. الحملة يجب أن تتحلى بالصبر وألا تنزعج من دون إطالة أفعالهم، وهذا كل ما في الأمر.[3]

وهذا مما دأب كتاب الجمعية على النهي عنه والتذكير به فقد كتب مبارك الميلي في البصائر، مقالا بعنوان " الشرك ومظاهره " فيقول: " ... والقول في الذبائح هو أن الذبيحة أما أن تذبح على وجه التقرب، فتكون عبادة، وإما على غير قصد التقرب فتكون عادة والتقرب بالذبائح لغير الله من العادات التي عرفت عن المشركين في الجاهلية فكانوا يذبحون عند الأصنام والأنصاب، تقربا منها وطلبا لمرضاتها، قصد الحصول على مرضاة الله. جاء الاسلام وأنكر كل ذلك....، ثم تغيرت العامة لعلمائها وخضعت لرؤساء جهال لا يتميزون عنها بأوضاع رسوم، فتنكر علمائها للدين، واتخذوا علمه أداة تقرب من أولئك الرؤساء الجهال وبضاعة ارتزاق من أولئك العوام، وكان هوى الناس تبعا للدين، فصار الذين تبعا لهوى الناس وهكذا أصل كل ما نزل بالمسلمين من الزوايا وحل بهم من البلايا. قال تعالى "**ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات**"[4]

لقد تطرقت البصائر الى ظاهرة ارتكاب البدع في صلاة العيد، ذلك أن المؤمنين في أثناء الخطبة يستعدون المسابقة الى معانقة الامام وتقبيل يده ورأسه أو ثيابه، فمن سبق صاحبه فهو الفائز بدخول الجنة، فجاء مقال نشر فيها تحت عنوان " عادة ممقوتة بدع في صلاة العيد " جاء فيه. "فيا أيها الأئمة أئمة العيد وما أكثركم في بلادنا أما تخافون الله أما ترفقون بها؟ هكذا كان يفعل الصحابة، ولستم أنتم بالنبي ولا بالصحابة؟ أثناء صلاة

---

[1]- الشهاب ج4، 13جوان 1937م، ص178.

[2]- علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (1925م-1940م)، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص225.

[3] - جريدة البصائر، العدد 16، السنة الأولى 1936/04/24م، دار البعث قسنطينة، الجزائر 1936م، ص.6

[4] - جريدة البصائر، العدد 22، السنة الأولى 1936/06/07م، المصدر السابق، ص6.

العيد ألا يسعكم المحافظة على حدود الله واتباع سنة رسوله .... واعلموا أن ما تفعلونه لم يكن من عمل صالح لأمية، ما تعتقدونه فيهم تتبرا الحقيقة والشريعة الإسلامية ..... فمن أين لهم بهذه البدع المنكرة والعادات المستقرة " **فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** " ، ففعل قبيح منكر واعتقاد فاسد مستنكر، وأبدلوا المعانقة بالمصافحة.

كما نددت البصائر بما يرتكبه أهل الصوف أيام المولد النبوي الشريف والمواسم الدينية من احتفالات غير شرعية، وقد جاء هذا المقال تحت عنوان " مقال عن الطرقية " الشيخ الأزهر جاء فيه ما يلي " إن المواليد التي يقيمها أرباب الطرق لبعض الأولياء في المساجد المسلمين، ولم تكن موجودة على عهد رسول الله ﷺ ولا عهد الخلفاء الراشدين، وصورة الدين الإسلامي، وهي انتهاك لحرمة المساجد التي بنيت للصلاة، ومذاكرة العلم، وذكر الله على وجه تخشع له القلوب، وأي انتهاك لرحمة المساجد كالتي نجده عند إقامة الموالد من تقديرات بالأطعمة والأشرية، ودخول الأطفال فيها حفاة أو بنعالهم ملوثة غير شاعرين بحرمتها ولا بأدبها، وقد يختلط الرجال بالنساء ... وقد يتحول المسجد الى ملهى للمغنيين والمطربين .... كان الفساد أكبر، والفتنة أعظم، وفيها إضافة الأموال المسلمين في غير مرضي شرعي، وما إلى ذلك مما يجعل إقامة المواليد في المساجد من المنكرات التي تغضب الله سبحانه وتعالى، فوجب تطهير هذه المساجد[1]

وقد شجب العلماء ما أسموه بالورد التيجاني، وهو عبارة عن مجموعة من الأذكار يلزم بقراءتها كل أتباع الطريق التيجانية، ويسمونه بالقرآن التجاني، وقد رفضها غالية علماء الإصلاح وكتبوا فيها عدة مقالات في كتبهم أو حتى في صحف الإصلاحيين منهم البشير ابراهيمي الذي وصف القرآن التيجاني بالإنجيل فيقول فيه " فكيف تبقي للقرآن قيمة في نفوس الناس من النحية بعد هذا التضليل؟ وكيف لا يستحكم الجفاء بين الأمة وقرآنها مع هذا التدجيل والصد عن سواء السيل؟ وإذا كان هذا القرآن متعبدا بتلاوته اللفظية – وهو ستون حزبا – فإن أنجيل التيجاني القصير وهو " صلاة الفتح مرة واحدة تعدل ست ختمات من القرآن؟ وإذا كان القرآن قد شرّع الغزو من أحز الأعمال وأشقها، فإن تلاوة الانجيل التيجاني مرة واحدة تعدل آلاف الغزوات، وهي لا تقوم الا على اللسان من غير اقتحام للميدان، ولا تعرض للرمح واللسان .... وإذا كان القرآن يفرض الحج وما فيه من مصاعب فأن الإنجيل التيجاني تعدل تلاوته آلاف المرات من الحج ومئات الآلاف من الصلاة كما هو منصوص في كتب التيجانية وكتب أصحابه. فأي تعطيل للقرآن أعظم من هذا؟ وأي تهويل لشعائر الإسلام ونقض لحكمها أكبر من هذا؟ .وأي تزيين للتفلت من تلك الشعائر يبلغ ما بلغه هذا الكلام من هذا الدجال؟

اللهم إننا نعلم بما علمنا أن دين التيجاني غير دين بن عبد الله مُحَمَّد، وأنت تعلم أي دين هو، فضعه حيث تعلم وعامله بما يستحق.[2]

يقول عبد الحميد بن باديس "بأن التيجانيين يعتقدون بصلاة الفتح من كلام الله ولا يترتب على فاعلها ثواب الا لمن يعتقد بذلك، ويزيدون بأن صلاة الفتح قد علمها النبي ﷺ لصاحب الطريقة التيجانية، وبالتالي لغيره أو عندهم أن مؤسس الطريقة أفضل الأولياء، ولما كان شأن الطريقة وشيخها فهم يرتبون على ذلك نتيجة يعتقدون بها وهي أن من ينتسب الى الطريقة يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب وتغفر له بالتالي ذنوبه الصغار والكبار حتى التبعات.

[1] – جريدة البصائر، المرجع السابق، العدد10 السنة الأولى، 16 مارس 1936م، ص7.

[2] – البشير الابراهيمي، الطرق الصوفية ط1، مكتبة الرضوان، الجزائر، 2008م، ص39.

وعندما سئل عبد الحميد بن باديس عن صلاة الفتح يوما فأجاب "أما زعمهم بأن صلاة الفتح أفضل من تلاوة القرآن الكريم فذلك مما يوجب الكفر لصاحبه، من حيث إن القرآن كلام الله الخالق ولا كذلك صلاة الفتح لأنها من كلام المخلوق. وعلى ذلك فكل من يعتقد بأن كلام المخلوق أفضل من كلام الخالق فقد كفر، إذا كانت هذه الأفضلية للذات وإذا لم تكن الأفضلية في غيرها كالنفع مثلا فالباطل ما زعموه لان الأدلة النظرية والأثرية قاطعة بأفضلية القرآن بوصفه أصل الأذكار جميعها وهو ما كان عليه أئمة السلف الصالح

ولا يخفى على أحد من أنّ التيجانية من أكبر الطرق في الجزائر والساحل الإفريقي وذات التأثير الواسع في الأتباع والعامة من الناس، وشجب الإصلاحيين للممارسات اللادينية واللامسؤولية لهذه الطريقة هو حركة تصحيحية داخل هذه الطرق ولمسارها وليس ثورة على هذه التنظيمات، وما تقدمه من خدمات دينية واجتماعية وثقافية للجزائريين وللأتباع داخل البلاد وخارجها، وفتح جبهة ضدّ التيجانية هو تطور خطير ويجرّ على الجمعية الكثير من المتاعب والصعاب، ولكن طريق الإصلاح شاق وطويل.[1]

ب-العلاقة بين التصوف والاحتلال الفرنسي للجزائر: في الوقت الذي انهزمت فيه الإيالة التركية في مواجهة الاحتلال الفرنسي للجزائر، أخذت الطرق الصوفية زمام المبادرة في اطلاق المقاومة وتوجيهها، ومحاولة ملأ الفراغ الذي تركه الأتراك بانسحابهم المفاجئ .

ولما أنهزم المقاومون ولم يستطيعوا تحقيق النصر وإنقاذ البلاد، وظل الأجنبي محتلا للجزائر. زاد ارتماء المواطن الجزائري في أحضان الصوفية، ليعيش في عالم الروح. والتخيلات لعله يجد الخلاص على أيدي الشيوخ المتصوفة، وهو الخلاص الدنيوي من القهر والحرمان والخلاص الروحي في الآخرة بما فيه من جنة ونعيم. ولكن الجمعيات الصوفية، قد ظهرت على غير هذا النحو عند غير المتصوفين، وعلى هذا النحو عند أتباعها في وقت انسدت فيه أبواب الخلاص وانقطعت فيه وسائل المقاومة أو قلت وضعفت، ووقعت فيه الجزائر فريسة لجيش متوحش، وقوة استيطانية، وقوانين جائرة، ومخططات ترمي الى سلب الجزائريين هويتهم ودينهم، وتحولت الجمعيات الصوفية في كثير منها هي أيضا إلى جهاز استغلالي في يد السلطة الاحتلالية. غير أن غشاوة اليأس، كان يرفعها من وقت لآخر أولئك الأشراف، وبعض المتصوفة من شيوخ الزوايا الذين يحملون الدعوة إلى الجهاد ويرفعون شعلة الحماس ويعطون للعامة روح العمل.[2]

3-مبررات ودوافع التصادم والصراع: اختلف المؤرخون حول مبررات الصراع والشقاق بين الطرقيين والعلماء وراحوا فريقان فمنهم من رأى أن سبب الاختلاف جسيم لأنّه مس المسائل العقائدية ومنهم من نزل بالخلاف وأسبابه إلى حد أن رآه رحمة، فهو تعدد في الآراء والأفكار، ولا غنى عن النقد للتنويع الأفكار وتلقيحها.

أ -موقف الطرق الصوفية من الخلاف: اعتبر أصحاب الطرق الصوفية بان مواقفهم من الخصومة والنزاع لم تتجاوز الأعراف والأقلام التي كتب بها، وفي حدود المناظرة العلمية حول المسائل الشرعية الدينية مثل (العبادة، بناء المساجد، القبب فوق القبور، قراءة القران على الأموات ...) وأن ذلك ما هو إلا دفاع عن الكرامة الصوفية، إلا أن هذه المناظرات على حد تعبيرهم تجاوزت حدود الأدب ونزاهة البحث العلمي بل مست أعراض الأشخاص وهتك الحرمات، وما زاد حدة الجدال دخول من لا يحسن العلم وغياب الأهلية والكفاءة التي تخوله الحديث في موضوع المباحثة العلمية.

[1]- عمار الطالبي، آثار الشيخ عبد الحميد بن باديس، ج3، د ط، ص142.

[2]- عبد العزيز شهبي، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي الجزائر، الجزائر، وهران، دار الغرب لنشر والتوزيع، ص99

فمثلا عن الاختلاف في مسألة التعليم، خاصة في قضية تعليم المرأة، فلا ضرورة في نظرهم تعليم المرأة تعليما كاملا مثل الرجل وهذا ما تضمنه المقالين التالين : "لا بأس من تعليم البنت بقدر المستطاع لكن لابد أن يكون تعليمها تعليما قوميا دينيا متثبتة فيه بالمعتقدات والعوائد وتقاليد أجدادها... أما لغة تعليم البنت فلا أحسن من تلك اللغة التي تعرفها البنت منذ نعومة أظفارها وبلغة آباءها وأجدادها ولغة تاريخها الحافل... ، أي بمعنى أن يكون تعليمها تعليما مقيدا ومحدودا، في حين كان الإصلاحيون يسعون إلى تطوير التعليم وتحريره من جل القيود التي فرضت عليه، وهذا ما نجده في مقالة وجهت إلى الشيخ العقبي تحت عنوان سؤال إلى الشيخ العقبي، جاء فيه قد كرر الأستاذ في كثير من الاحتفالات ..رحب بالنساء اللاتي حضرن الاحتفالات العمومية وحرضهن على التمدن ودعا الرجال إلى تحرير نسائهم وإجابة رغباتهن وآمالهن لأن الرقي والتحضر والسعادة الإسلامية منحصرة في تحرير المرأة والتشبه بالأوربيات.[1]

ويرجع أيضا بعض شيوخ الزوايا العداء غير المتوقع لهم من قبل الإصلاحيين إلى حسد وغيرة العلماء لقادة الزوايا لأنهم لا ينعمون بحياة ثرية ولا ينالون الاحترام والتقديس، وهذا ما وضحه الشيخ عبد القادر القاسمي بن بلقاسم شيخ زاوية الهامل في رسالة بعثها للحاكم العام في الجزائر.

علاوة على ذلك، يأخذ السيد قدور بن محي الدين الحلوي على الجمعية عدم وفائها بالعهود فيقول « لو صدقت جمعية العلماء ما وعدت بلسان رئيسها ابن باديس الذي قال أن وظيفتها هي إحياء الزوايا بالعلم وتعميرها بالذكر وتلاوة القرآن وإرجاعها إلى سالف الزمان، وأنه ليس من غرضها هدمها وإعفاءها من ختمتها لكن الجمعية لم تف بما وعدت وخلطت الحابل بالنابل، والحق بالباطل وأخطأت في اجتهادها، فهي ليست معصومة من الخطأ حتى لا يجوز الخطأ في حقها، فيا ليتها حافظت على السنة النبوية فهي روح القرآن، بل أنكرت الجمعية العديد من السنن ومنها الأذكار الصحيحة، فقد كان رسول الله يستغفر مائة مرة ويحث على الصلاة عليه مائة مرة وما يزيد هي أذكار الطريقة التيجانية التي نهضوا لمحاربتها...»[2]

كما اعتبر الطرقيين فقدان الجمعية لمكانتها واحترامها بين أوساط الشعب وأوساط حتى مؤيديها من جماعة نادي الترقي حجة ساهمت في تأجيج الصراع، فقلت نظرة التقديس العلوية المنزهة لرجالها ليعتبروها بعدها ذواتا بشرية سفلية، ويعود ذلك برأيهم إلى:

سآمة الناس من الاستماع إلى نغمة واحدة على وتر واحد تروى من أفواه رجال الجمعية كل مرة

-جزم الناس بان أقوال الجمعية مخالفة لأعمالها.

-التحقق من أن الجمعية تخدم الغايات الشخصية والانتخابية.

-ملل الناس من الاكتتابات المفروضة عليهم في كل مناسبة من قبل الجمعية ودون أي فائدة

-أن الجمعية لم تأت بأي فائدة للأمة منذ تأسيسها بل تم إغلاق العديد من المدارس (مدرسة بلعباس، مدرسة سبق...) وفرض عنهم التشديد في منح رخص تعليم القرآن .

ويقول أبو العجائب في مقال بحمل توقيعه "منذ تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونحن نسمع بتهويل وإجراءات تنشرها صحفها لتهول بها أعمالها التي لا وجود لها إلا في مخيلات أعضائها، لكن العقلاء يعرفون أن ذلك من ذر الرماد" [3]

[1]- الشيخ العقبي، النجاح، العدد 1592، الجمعة 27 جويلية 1933م، ص2، 3.

[2]- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، د ج، ط5، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2013م، ص130.

[3]- النجاح، العدد 1592، الجمعة 27 جويلية 1933م، ص2.

بالإضافة إلى النقد العنيف الذي تتلقاه معتقدات الطرق الصوفية من قبل رجال الإصلاح الذين يعتبرون أن الطرق الصوفية «بدعة لم يعرفها السلف ومبناها كلها على الغلو في الشيخ والتحيز لأتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ وأولاد الشيخ وإلى ما هنالك من استغلال ومن تجميد للعقول وإماهة للهمم وفل للشعور».

ومن بين الذين نزلوا بمرتبة الخلاف ومبرراته إلى غاية اعتباره رحمة "الأستاذ أحمد بن بسام" الكاتب العام للجمعية الدينية الطرقية الإسلامية بقسنطينة ... إن سبب الخلاف والتباغض الواقع بالأمة الجزائرية ليس بسبب عقائد دينية صحيحة مستمدة من أصول الشريعة الإسلامية، فاتسعت شقة الخلاف بيننا إلى هذا الحد ولما رأينا بين المسلمين هذا التذاكر والتباغض والتنافر، إذ لو كان شعار المسلمين نحن مسلمون قبل كل شيء لما دب إليهم دا هذا الخلاف الذي هدم بنيانهم وحل الشقاق محل الوفاق والظلم والرذيلة مكان العدل والفضيلة،،،، وهذه الفوضى الدينية والفنية العمياء التي ارتطمت بها الأمة الجزائرية لم تكن ناشئة عن خلاف واقع في عقائد دينية صحيحة مستمدة من أصول الشريعة التي أجمع عليها علماء الإسلام سلفا وخلفا فلو كان ذلك لما وقع شقاق وافتراق بل تكون عاقبتها رحمة: وقد مثل لقوله بهذه الأبيات[1]:

فلا تبتئس إذ وسع الله في الهدى مذاهبنا بالعلم والله واسع

تفرقت الآراء والدين واحد وكل إلى وجه من الحق راجع

فذلك الخلاف جر للخلق رحمة كما اختلفت في الراحتين الأصابع

وهذا صوت حكيم وهو من الأصوات الذي أرادو إصلاح ذات البين، خدمة لدينه ووطنه.

ب-موقف جمعية العلماء المسلمين من الخلاف: بالمقابل يرجع رجال الإصلاح السبب الرئيسي للخلاف إلى حادثة الانشقاق التي حصلت بينهم وبين الطرقيين بنادي الترقي يوم 23ماي 1932م خلال انتخاب مجلس الإدارة الجديد للجمعية في سنتها الثانية، واعتبروها محاولة للإساءة إلى الجمعية وجعلها جمعية طرقية علوية الخدمة مآربهم ومصالحهم وطرد العلماء المصلحين منها.[2]

أحيكت فصول هذه المؤامرة بهدف إحداث انقلاب بواسطة الانتخابات، فحسب القانون الأساسي لا ينتخب من الأعضاء إلا من كان يملك بطاقة عضو عامل وهو من يصدق عليه لقب "عالم " في الجزائر، وقد تكفل العلويون بمد البطاقة وإغراق الاجتماع بسيل من هؤلاء العلماء، وأخذ عمر إسماعيل يوزع بطاقات العضوية على كل مترشح يقدم إليه، ولا يشترط إلا لحية مرسلة وسبحة طويلة وقد يكون معها بوسعادي ماض – معلقا بالجنبوهنا يذكر الزاهري أن رجال الطرق الصوفية قدموا رشاوي للناخبين لأجل أن ينتخبوهم. وإذا صحت الرواية فإنّ الطرقيين كانوا يعولون بكل الطرق على اكتساح الجمعية العامة بما فيها التلويح باستعمال القوة. [3]

كذلك يرى الإصلاحيون أن الطرق الصوفية خرجت من إطار الدين الإسلامي، ويتبين ذلك من خلال رد ابن باديس على صلاة الفاتح الخاصة بالطريقة التيجانية إذ يقول «أن صلاة الفاتح من كلام المخلوق، ومن اعتقد أن كلام المخلوق أفضل من كلام الخالق فقد كفر، كما اعتبر علماء الإصلاح التوسل شركا بالله، ونددوا بمن يدعي أنه يملك قدرات خاصة (كالإتصاف بأوصاف الربوبية في العطاء، المنع، البسط والقبض...) كما اعتبروا محاربة الطرق الصوفية هدفا دينيا بعدما تيقنوا من خطورتها وخطورة ما تروجه من مبادئ باطنية والدعوة إلى مذهب الحلول ووحدة

[1] – النجاح، العدد 2248، الخميس 16 فيفري 1939م، ص3.

[2] – نور الدين أبو لحية، جوانب الخلاف بين جمعية العلماء والطرق الصوفية، ص134.

[3] – أحمد حماني، فتاوى الشيخ العلامة احمد حماني، م1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، ص320.

الوجود، وهدفا سياسيا لاتصالها بالقوى الاستعمارية والتحالف معها والتعاون بينهما على العمل المنسق، فأصبحت كلمة مرابط (صوفي) تدل على الجهل والتخلف واقترنت بكل من هو مؤيد لإدارة الاحتلال الفرنسي.[1]

ولا شك أن دافع الفكر الإصلاحي المتميز بالحماس الشديد لمحاربة البدع والخرافات والانحرافات العقائدية، ...ومنطلق الدعوة إلى تطهير العقيدة الإسلامية من الشوائب والترهات التي علقت بها والمنسوبة في رأيهم إلى الطرقيين، يعد من أهم الأسباب.

غير أنه في حقيقة الأمر، يعتبر التنافر والاختلاف في الاتجاهات الفكرية هو السبب الأكبر في الصراع، فلكل طرف رؤيته المختلفة عن الآخر، فأهل الإصلاح عامة هم خريجي الزيتونة والقرويين والمتأثرين بالفكر النهضوي للمشرق العربي ويعتمدون على الفهم والأخذ بالتمدن، ويقابلهم أهل الطرق الذين يعتمدون على إسلام العادات والتقاليد وتقديس الأولياء وأهواء المرابطين".[2] ومن الواضح أن هذا الخلاف العقدي قد جرّ الى ما هو سياسي، وأدّى الى توسيع الشرخ، بعد أت عبثت فيه أيادي فرنسية، فكيف تقمصت فرنسا هذا الدور؟

4-دور الاستعمار الفرنسي في توتير العلاقة بين الطرقيين والإصلاحيين: سعي الاستعمار الفرنسي إلى التحكم في العلاقة بين جمعية العلماء والطرق الصوفية، منهجا في ذلك سياسة خطيرة ألا وهي سياسة فرق تسد، حيث أحدث خلافات مذهبية بين الحنفية والمالكية والإباضية كما أحدث خلافات بين الجمعية والطرق الصوفية، وحتى داخل الطرق في حد ذاتها، ومن أهم التهم التي تراشقها كل من الطرفين والإصلاحيين هي تهمة خدمة الإدارة الفرنسية والتعاون معها، فالجمعية ترى بأن الاستعمار استغل من لا دين لهم من شيوخ الزوايا في قتل الدين ونشر الفساد وجعل هذه الأداة التي صنعت للخير معولا يهدم به الأمة في كل نواحيها، واصطنع هؤلاء الجهلة من شيوخ الطرق والمشعوذين الدجالين الذين يسيرون في ركابهم ويملؤون الزوايا، ولهم دور في الجوسسة ومحاربة الإصلاح وبث الفرقة المذهبية وتوطيد التعصب المذهبي والعرقي والجهوي في النفوس، فصاروا مفاتيح الحكومة الاستعمارية وأداتها.[3]

لذلك اعتبرت الجمعية أن الإدارة الفرنسية منحت هذه المكانة المرموقة لشيوخ الطرق نظير ما كان يقدمونه لذلك قال: برك لقد وصل بنا الامر الى إهانة واحتقار الدين إلى درجة أننا أصبحنا لا نسمح بتسمية المفتي أو الإمام إلا من بين اللذين اجتازوا مسار درجات التجسس، ولا يمكن لأي موظف ديني أن ينال أي رقي إلا إذا أظهر للإدارة الفرنسية إخلاصا منقطع النظير.

ولذلك فإنّ الجمعية نسيت إلى الطرق الصوفية كل نقيصة ورأت أنها بلاء على الدين والجزائر، فقد أفسدت العقائد ونشرت الموبقات، وفرقت الأمة وحاربت الإصلاح، وكانت العامة الجاهلة في الجزائر تعتقد في المرابطين وشيوخ الطرق الاستعمارية ما ينافي التوحيد الإسلام الصحيح، إذ أن شيوخ الطرق كان البعض منهم جهلة فاسدين[4]

وهذا من الأخطاء التي وقعت فيها الجمعية حيث نظرت إلى مشايخ الطرق الصوفية نظرة استعلاء وذلك لأنها ترى أن الإصلاحيين يملكون من الفصاحة ما لم يكن بإمكان مشايخ الطرق الصوفية متجاهلة أن منهم علماء مثلما لهم. ووفقت الجمعية تدافع عن حجة مفادها أنها لم تعلن الحرب على الطرقيين منازعة لهم في السلطة والجاه ولا غيرة منهم على النفوذ الروحي الذي كانوا يمارسونه على عامة الناس وإنما حاربوهم بسبب

[1]- عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 137.

[2] - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص122.

[3]- مازن صلاح المطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939م، مذكرة ماجستير، صدرت عام 1985م عن جامعة الملك عبد العزيز، ص 30.

[4]- أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، الجزائر، مكتبة النهضة، 2001م، ص148.

تمزيقهم لوحدة الشعب يخلق طرق مختلفة متصارعة باسم الإسلام وهو تقويض وتحريف لأركان الشريعة الإسلامية التي تدعو إلى وحدة المسلمين وتضامنهم في القول والعمل، وقد كان الصراع حربا لا هوادة فيها ليس فقط لأن الطرقيين مبتدعون في الدين بل لأنهم متهمون بالإخلاص في تعاونهم لفرنسا.[1]

فقد كانت مصالح الاستعمار منوطة بتفرق الجزائريين واذكاء الصراع فيما بينهم ولهذا انتهجت فرنسا سياسة فرق تسد وقد مارست هذه السياسية مع الجميع، فهي لا يهمها طرقي أو مصلح المهم عند كل مستعمر أن تتنافر النفوس وأن يجهز بعضهم على بعض، يذكر الكثير من الباحثين بناء على هذا أن الإدارة الفرنسية كانت تستعمل الطرق الصوفية التحقيق أهدافها عبر استعمال العملاء ونفس الاختراق عرفته الجمعية وأنها في بعض نواحي سلوكها كانت تنفذ مؤامرة فرنسية شعرت بها أم لم تشعر. [2]

كما منحت الحكومة الفرنسية للجمعية أن تؤدي أدوارها بحرية أكبر ولو أنّ الكثير يتحجج بكثرة تعرض الجمعية للتضيق على حركتها إلى أن كانت مضايقات شكلية ولم تكن تضيق عليها إلا فيما يتعارض مع مصالحها، وأما ما كنت تنشره مما يضرّ الوحدة الاجتماعية والثقافية والدينية فقد كانت راضية عنه أتم الرضا، والدليل على أن هذه المضايقات كانت شكلية أنه في كل مرة يتم منع صحيفة في الصباح تصدر أخرى بنفس المنهج ونفس الشدة في المساء، وليس من خلاف بينهما إلا في الاسم[3]، لقد ساهم الاستعمار الفرنسي بفضل هذه الصراعات في إغراق المجتمع الجزائري الذي كان في أسوأ حالاته في مجادلات كلامية وحزازات فردية، ووقف في ذلك موقف المتفرج الفرح بما أحدثه من قطيعة بين أبناء الشعب الواحد فقد كان دخول فرنسا في اتفاقات مع بعض هذه الجمعيات عامل تجريد لها من القوة السياسية ولم يبق لها في الحقيقة سوى درجة بسيطة من التأثير الروحي ولم تعد تستمد قوتها إلا من الغموض والخرافات المهولة، فانغمسوا في الدجل والشعوذة والصراعات التي لا طائل منها تاركين لفرنسا يدا حرة في الجزائر ومساعدين لهم في سياساتهم عن وعي أو من غير وعي[4]

وقد كتبت إحدى المجلات سنة 1933 تقول: "كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي وقفت ضد الطرفين وما تنشره من خرافات وأباطيل تتكون من أشخاص عظماء أحرار عصريين من متنوري المسلمين، ومنذ سنة تقريبا والحرب قائمة بين الإصلاحيين والطرقيين بعضهم يعلّم بواسطة الجرائد والبعض يدرسون لجماعاتهم أفكار التقدم والعمل ويحاولون هدم البدع التي تسيئ الى وجه الإسلام، وإذا كان العلماء قد استعملوا كل وسيلة لهدم صروح الطرق الصوفية لأن هذه الأخيرة قد أصبحت آلة طيعة في يد الإدارة الاستعمارية تسخرها لابتزاز الشعب، وقد وجدت فرنسا في هذا الصراع فرصة جيدة، لذلك سعت في تغذية هذا الصراع ونظرت للإسلام الجزائري نظرة تميزه عن الإسلام في بقية العالم الإسلامي. [5]

وهكذا تستمر الحرب سجالا بين العلماء المصلحين والطرقيين المعاندين حينا من الدهر، وبينما حقق الأولون قوة ونجاحا بين الجماهير الإسلامية ازداد الطرقيون ضعفا وتقهقرا أمام ضربات خصومهم المصلحين، وإن كانت الإدارة الفرنسية التي كانت عينا ساهرة على العلماء والطرقيين معا تؤكد بوضوح مدى فشل هذه الفئة الاجتماعية أمام حملات المصلحين في ام الحماية الاستعمارية التي حظيت بها تلك الفئة لأن العلماء كانوا

[1] – مازن صلاح المطبقاني، المرجع السابق، ص 132، 133.

[2] – نور الدين بولحية، مرجع سابق، ص 171، 173.

[3] – مرجع نفسه، ص 174.

[4] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، د ط، دار الغرب الإسلامي، 1992م، ص64.

[5] – عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945م، د ج، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2013م،ص 209.

يجيدون استخدام الوسائل الحديثة في هذه المعركة الكلامية والفكرية التي خاضوها بكل صرامة وتنظيم دقيق، فكانوا يهاجمون بها ويردون على خصومهم بالأدلة القطعية من القرآن والسنة وبالشواهد من الواقع المعيش داخل المجتمع الجزائري وخارجه، وعلى اعتبار أن الجمعية قد أجادت استخدام الوسائل الحديثة في حربها الكلامية. إلا أنها قد ضيعت فرصة ثمينة في مواجهة الخطر المحدق والمتمثل في الاستعمار الفرنسي وغرقت في صراعات لا طائل منها لذلك فإن الجمعية قد اعتبرت محاربة هذه الطرق المنحرفة من أولى واجباتها الإصلاحية، وبما أن إصلاح المجتمع يتطلب البدء من الأساس فإن جمعية العلماء قد بدأت بتطوير العقائد فكانت محاربة الجمعية للطرقين تعني محاربة الاستعمار نفسه بطريقة غير مباشرة لأن الاحتلال الأجنبي لم يكن في استطاعته التوغل في أعماق المجتمع لولا اعتماده على بعض الفئات المحلية التي أعلنت ولاءها للسلطات الجديدة من البداية للحفاظ على نفوذها. [1]

وهكذا ساهمت الإدارة الفرنسية في تأزيم العلاقة بين جمعية العلماء والطرق الصوفية وجعلت الحرب بينهما مستمرة وصراعا لا هوادة فيه مما تسبب في اتساع الهوة بين الطرفين وهو ما كانت تبغيه فرنسا.[2] ولكن كل هذا يمثل جهدا ضائعا ككام من الواجب توجيهه نحو فرنسا.[3]

ثانيا: وسائل الصراع بين الطرقيين والإصلاحيين:

1-الطرقيين في محاربة الجمعية:

أ-تأسيس جمعية علماء السنة 15 سبتمبر 1932م: بعد فشل الطرقيين في انتخابات المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين يوم 23 ماي 1932م إثر مقاطعتهم لها عندما تبين لهم عجزهم عن تأمين الأغلبية، راحوا يدعون إلى إنشاء جمعية منافسة لجمعية العلماء المسلمين أين جمعت رؤساء الزوايا والموظفين الدينيين المسلمين في الإدارة الحكومية الفرنسية إضافة إلى حدث الانتخابات، جاءت حادثة طرد السيد عمر إسماعيل من جمعية العلماء المسلمين بعد معارضته الصريحة لرئيسها، فانظم إلى اقتراح المولود بن الصديق الحافظي القاضي بتأسيس جمعية جديدة، وانسحب خمسمائة عضوا من وراء ظهر عبد الحميد بن باديس والتحقوا بمعارضيه، وتم بالفعل تجسيد هذا الاقتراح بتأسيس جمعية علماء السنة الجزائريين رسميا بتاريخ 15 سبتمبر 1932م.[4]

وفي هذا الموضوع ورد في الجريدة أنه بلغها يوم الثلاثاء 18محرم 1351هـ الموافق 24ماي 1932م، قد اجتمع في العاصمة جمهور عظيم من أعيان وفقهاء الأمة الجزائرية. التأسيس جمعية تحت اسم جمعية علماء السنة الجزائريين، وعينت لجنة تحضيرية من اثني عشر (12) عضو من فضلاء الجزائر وأعيانها.

والمتمعن في أهداف وغايات جمعية علماء السنة الجزائريين يلاحظ أنها تشبه لحد كبير أهداف جمعية العلماء المسلمين، تذكر من بين هذه الأهداف ما يلي:

أنها جمعية دينية أخلاقية[5] تقوم على أساس المذاهب الأربعة وأصول الفقه وأصول التصوف، وأصول الدين على عقيدة الأشعري والماتريدي تهدف إلى ترقية المسلم الجزائري ماديا وأدبيا بتثقيفه وتهذيب أخلاقه وتعليمه دينه.

---

[1]- عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص210.

[2] – عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص.215

[3]- المرجع نفسه، ص215.

[4]– علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ت مُحَّد، ط1، دار الحكمة، الجزائر، 1999، ص146.

[5]– رابع لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف 1920-1954م. ط 1، دار كوكب العلوم، الجزائر،2009م، ص 81.

جاءت للدعوة إلى التحابي والتأخي في دائرة التسامح واللطف والصراط السوي

أنها جمعية خيرية علمية تهذيبية تعلم الناس مكارم الأخلاق

- الامتناع عن الخوض في أمور السياسة وكل ما يثير الاضطراب بين الفئات الدينية الأخرى أو يمس بكرامة الغير[1]

بتأسيس هذه الجمعية بدأت مرحلة جديدة من الصراعات الحادة بين الطرفين، فشهدت السنتان 1932-1933م تراشقا صحفيا علينا واتهامات متبادلة في العديد من الأحيان إلى حد المهاجرات السخيفة والكلمات البنية والسب والشتم".[2]

ولكي تناهض جمعية علماء السنة الحركة الإصلاحية التي كانت تعتمد على جرائدها في حركتها (جريدتي الشهاب والمرصاد)، وأصدرت بتاريخ 14 ديسمبر 1932م جريدة الإخلاص التي أشرف عليها عمر إسماعيل والمولود الحافظي لتكون لسان حال جمعية علماء السنة".

كما استوجب احتدام الصراع إصدار صحف جديدة أكثر عنقا وشراسة... من سابقاتها ومن كلا الجانبين، فأصدر الطرقيون جريدة المعيار في 18 ديسمبر 1932م، وكتبرير للغاية التي ظهرت من أجلها ودخولها في صراع مع جمعية العلماء المسلمين جاء في افتتاحيتها للعدد الأول ما يلي: "...ولنا الحق في القيام بهذا العمل الذي صار واجبا أكيدا لا مبررا فقط، لأن صون الأعراض واجب ديني كوجوب صون النفس... لأن عقارب السوء لا تكف عن البداية بالعدوان إلا بإكرامها بين النعل والثرى، ولأن هؤلاء الأوباش لا يرجعون عن الرقاعة والقذع إلا عندما يعرفون أن الأمة تنبهت إلى مساويهم، وأنهم أصبحوا في نظرها بؤرة كل فساد ومصدر كل فتنة"[3]

وكردة فعل لما أحدثته جريدة المعيار جراء هجومها على جمعية العلماء المسلمين أصدر جماعة من الشباب الإصلاحي جريدة الجحيم في 30 مارس 1933م، والتي تحدث عنها السيد الدولي بن محي الدين الحلوي قائلا «... الجحيم تلك الورقة الملعونة التي استمدت أنفاسها من نار الجحيم وأظهرت براعتها في التفكير واختلاق الكنبات فيها وتحسبونها من بين حسناتكم وإن كانت الجحيم من سيئات الجمعية...فهل رأيتم في القطر أو في جمعية العلماء أفلت لسانا وأخزى جنايا وأسخف عقلا من حضرتكم حتى يساء معها الأدب وينسب إلى غيرها ...لا أخال الحمق يقضي بجنابكم إلى هذا الحد.. والادعاء أن في الطرق الصوفية مقدمات عاهرات ومقدمين يهود».[4]

وفي هذا الصدد يرى المؤرخ رابح لونيسي أنه رغم الزخم والدع من طرف الإدارة الاستعمارية الذي صاحب تأسيس جمعية علماء السنة إلا أنها ولدت ميتة من بدايتها، ولم تستطع الصمود والبقاء طويلا لمجابهة جمعية العلماء المسلمين لذلك حلت نفسها سنة 1935م. وهذا شأن أي حركة معادية لوطنيتها وقوميتها فأنّ مصيرها الى الزوال.[5]

وقد أعاد الكرّه ومن جديد أصحاب الاتجاه التقليدي سنة 1937م بتأسيس جمعية تحت اسم جامعة إتحاد الزوايا والطرق الصوفية، والتي ولدت من رحم المؤتمر الديني لرؤساء الزوايا ومشايخ الطرق الصوفية الذي عقد بمناسبة إحياء تكري الصوفي سيدي مُحَّد بن عبد الرحمان الأزهري، وكان إنشاء هذه الجمعية بناء على اقتراح الشيخ الشريف الصايغي- مدير مدرسة السلام بقسنطينة خلال تلك المناسبة وقوبل بموافقة عموم

[1]- رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف 1920-1954م، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2009م، ص81.

[2]- المرجع نفسه، ص81.

[3]- أحمد توفق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ص 24.

[4]- قدور بن محي الدين الحلوي، إلي الشيخ السعيد الزاهري، النجاح، العدد 1592، الجمعة 27 جويلية 1933م، ص2.

[5]- رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 81.

الحاضرين، ليعلن بعدها مباشرة السيد عبد الرحمان بن العقون – من واد زناتي – حملة شرسة ضد جمعية العلماء المسلمين، معتبرا إياها صاحبة القلاقل والاضطرابات داخل الوطن ومحاربة لعوائد وتقاليد المسلمين.[1]

ومن ضمن ما قامت به إصدار جريدة الرشاد سنة 1938م لسان حال لها، واعتبرت النجاح هذه الخطوة بمثابة تعزيزا للصحافة الجزائرية واصفة إياها بأنها مرشدة وداعية إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة محررة بأقلام عذبة اللفظ غزيرة المعني دقيقة المرمى المطلوب وهو الدعوة إلى سبيل الله وسنة رسوله والرجوع بالأمة إلى ما كان عليه أسلافها من الهداية والعقيدة النقية لاسيما في هذا الزمن الذي ابتليت الأمة فيه بمن يقتنها عن دينها زيادة على ما هي مفتونة به في دنياها باسم التجديد تارة والإصلاح تارة أخرى والله يشهد أنه لا تجديد ولا إصلاح وما هي إلا تجارة في الدين وتكالب على حطام الدنيا وتفان في حب الرئاسة والظهور»[2]

ويقول الدكتور رابح لونيسي في معرض كلامه عن محاولات الاتجاه التقليدي لجمع شمله، بعد حل جمعية علماء السنة ظهرت جمعية الزوايا والطرق الصوفية في فيفري 1937م، ثم ولدت بعدها جامعة إتحاد الزوايا والطرق الصوفية عام 1939م، والتي أصدرت جريدة الرشاد لسان حال لها.

غير أنه بالرجوع إلى جريدة النجاح ليس هناك ما يدلّ على تأسيس جمعية سنة 1939م (بعد الجمعية المذكورة سنة 1937م) والتي ميزها الدكتور رابح لونيسي باسم جمعية الزوايا والطرق الصوفية، ولو تم التسليم جدلا بولادة جامعة أخرى سنة 1939م، فكيف لهذه الأخيرة أن تصدر جريدة قبل تأسيسها؟ فتاريخ صدور الرشاد يعود لسنة 1938م وهذا التاريخ أكيد وثابت بالمقال المذكور أعلاه من جريدة النجاح. [3]

ب-الجرائد:

-صحيفة لسان الدين: صحيفة أسبوعية دينية، إخبارية، سياسية، تصدر يوم الثلاثاء من كل أسبوع، صدر العدد الأول منها في اليوم الثاني من شهر جانفي 1923 بمدينة الجزائر، لمديرها الحسن بن عبد العزيز، ومحررها مصطفى حافظ، برعاية أحمد بن مصطفى العليوي، مؤسس الطريقة العلوية، وبعد العدد السابع الصادر بتاريخ 13 فبراير 1923 انتقل تسيير الإدارة إلى الحسن بن عبد العزيز القادري، وفي أعدادها الأخيرة تولى شؤون تسيير إدارتها صالح بن مراد. ويظهر من خلال بعض أعداد الجريدة أنها كانت تمجد الطريقة العلوية، وتبين الأعمال الخيرية التي كانت تقوم بها، مؤكدة بأن من أهدافها نشر هذه الطريقة، كما كانت تطمح الى ضم الطرق الصوفية في الجزائر في طريقة واحدة يتولى مشيختها أحمد بن عليوة.[4]

ويتضح اتجاه الجريدة الديني من خلال افتتاحية العدد الأولى، وقد جاء فيه: "أسست تحت رعاية جماعة من فضلاء الجزائر، وغرضها الأهم خدمة الدين بأسلوب خصوصي، وغايتها أن نخلص هذا الدين الحنفي بصفته الخالصة من الشوائب فيما بين الأجانب، فضلا عن أبناء الملة." لهذا جاءت جلّ مقالاتها تصف الحالة الدينية في المجتمع الجزائري، وتستهجن الفساد الأخلاقي الذي ساد بعد الحرب العالمية الأول، وتدعوا الناس إلى التمسك بالقيم الإسلامية، فيذكر كاتب الافتتاحية فيما كتب بأنه: "قد بلغ هذه الأمة إلى انعدام الإدراك، وبأنه كلما حاولنا الموازنة بين قطرنا الجزائر وبقية الأقطار الإسلامية على اختلافها إلا ويتعذر علينا إدراك وجه الشبه بينه وبين غيره، من جهة انحطاطه دينيا وماديا وأدبيا ".[5]

---

[1]- النجاح، العدد 1958، الأربعاء 1 فيفري 1937 م، ص ض 1-2.

[2] - الرشاد، النجاح. العدد 2141. الجمعة 27 ماي 1938م، ص2.

[3]- رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954م)، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2009م، ص81.

[4] - جريدة لسان الدين، العدد الأول، 2 جانفي 1923م، م ر18، المكتبة الوطنية، الجزائر، ص1.

[5]- المرجع نفسه، العدد 11، 03 مارس 1923م، ص52.

كما اهتمت بتربية الشباب وإنقاذه من مخاطر الانحراف الذي انتشر في المجتمع الجزائري كنتيجة للسياسة الاستعمارية، إذ لم تتوان الإدارة الفرنسية في منح رخص فتح المخامر ودور القمار، وبيوت الدعارة ومحلات الإثارة على أوسع نطاق

لقد ندد بهذا الوض غير واحد من العلماء من بينهم رئيس تحرير الجريدة مصطفى حافظ في افتتاحية العدد الأول متسائلا: "... فيا ترى ما هو السبب في ذلك.. فهل هم علماؤنا المدرسون؟ أم هم مشايخنا المرشدون؟ أم هم أغنياؤنا المؤثرون؟ أم أمراؤنا المستبدون؟، إلى أن يدعوا الكاتب إلى تضافر الجهود بقوله: "المؤمن الضعيف بنفسه قوي بأخيه" .[1]

إن اهتمام الجريدة بالإصلاح الاجتماعي بلغ أشده فنجدها تقف موقفا مشرفا واستنكارها الشديد للمظاهر المنحرفة التي دخلت إلى الجزائر مع الاستعمار، كعدم احترام أماكن العبادة، ومما جاء في هذا الصدد إظهار الجريدة حديثا نبويا حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليتوسط أعلى صفحاتها الأول من العدد 12، وفي عددها الحادي عشر جاء فيه ألم نكن نسمع معاشر المسلمين أن الزاني والزانية يرجمان كما سمعنا بهم بجلدان كل واحد مائة جلدة والله يقول : "لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ".[2]

لكن سرعان ما توقفت لسان الدين عن النشاط في نفس السنة التي ظهرت فيها (سنة 1923)، ولم يصدر منها سوى 12 عددا، والجدير بالذكر أنها عادت الى الظهور سنة 1937 بالجزائر العاصمة، ثم تحولت بعدها إلى مستغانم بمقر الزاوية العلوية، وكان يرأس تحريرها الحاج عدة بن تونس، غير أنها توقفت نهائيا بعد نشوب الحرب العالمية الثانية.[3]

-صحيفة البلاغ الجزائري: جريدة علمية، ارشادية دفاعية، أسسها أحمد بن عليوة شيخ الطريقة العلوية، لتكون لسان حالها، وتصدر أسبوعيا كل يوم جمعة، وقد صدر العدد الأول منها في 24 ديسمبر 1926، وكانت تطبع بالطبيعة العلوية، بمستغانم، لتحول طباعتها فيما بعد بالجزائر العاصمة، حيث أنشأت لها مطبعة عصرية، فكتبت في عددها 115 بتاريخ 21 فيفري 1929 عنوانا بالبند العريض "الانتقال من مستغانم إلى الجزائر" وتحت كتب انتقال الإدارة" فأعلنت بذلك لقرائها أنها ستحتجب لمدة ثلاثة أسابيع ".

لم تكتف صحيفة "البلاغ الجزائري" بشعار معين، بل وضعت عدة شعارات بهدف تحديد أهدافها للقراء والمساهمين بكتاباتهم على صفحاها، ومن تلك الشعارات، "نحن مسلمون قبل كل شيء" والآيات الكريمة: "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"

ومن شعاراتها الآية " **فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ: " إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين**" وغالبا ما كانت هذه الشعارات متنوعة ومتغيرة بحسب التغيير الذي يطرأ على تسيير إدارتها، فنجد في بعض أعدادها أبياتا شعرية لمحمد المهدي [4]وهي:

يا من تحب المعالي لست تدركها ما لم تكن لسبيل الدين متبعا

[1] – جريدة لسان الدين، مرجع سابق، العدد الأول، 2 جانفي 1932م، ص1.

[2] – المرجع نفسه، العدد 12، 20 مارس 1923م، ص1.

[3] – محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من(1947–1954م)، الطبعة 2، الجزائر، 2006م، ص 57.

[4] – جريدة البلاغ الجزائر العدد 155، 21 فيفري 1929م، م ر 37 ، المكتبة الوطنية الجزائر، ص 1.

فالدين أن تتبع حقا أوامره تلقى النجاح لدى الأزمان متسعا

وقد تعاقبت على رئاسة تحريرها وإدارتها عدة أشخاص هم: حدوني مُحَّد بن محي الدين، وبعده عدة بن يونس وفي سنة 1930 تحول تسييرها إلى الأخضر عمروش، وترأس الصحيفة مُحَّد المهدي لفترة وجيزة سنة 1935[1].

وقد تناولت جريدة البلاغ الجزائري مواضيع متنوعة مست مختلف المجالات سياسية، اجتماعية، اقتصادية، ودينية، كما دخلت في صراع مع الصحف الإصلاحية، خاصة ما تعلق منها بجمعية العلماء المسلمين. توقفت الصحيفة عن الصدور بتاريخ 19 مارس 1948، عند العدد 703، وكانت تحتجب من الظهور في بعض الأحيان، بسبب الضائقة المالية والصراعات الداخلية على تسيير شؤونها، بعد وفاة أحمد بن مصطفى العلوي بتاريخ 14 جويلية 1934.[2]

–صحيفة الإخلاص: صدرت الإخلاص في 14 ديسمبر 1932، وفي صحيفة علمية دينية، إرشادية، إخبارية، اشهارية، يحررها نخبة من العلماء تحت إشراف المولود بن الصديق الحافظي الأزهري، وإدارة السيد عمر إسماعيل، وهي لسان حال تجمع رجال الزوايا. ويقول مُحَّد ناصر في كتابه الصحف العربية الجزائرية، "لم يكن بين تكوين جمعية علماء السنة وبين صدور الجريدة سوى ثلاثة أشهر ، ويبدوا من خلال موادها أنها تميزت بالاعتدال والحكمة في دعوتها الدينية، فلم يكن أسلوبها عدائي، وإن كانت على خلاف حاد مع الاتحاد الإصلاحي.[3]

–صحيفة المعيار: صدر العدد الأول من جريدة العيار بالعاصمة في 18 ديسمبر 1932 وجاء في عددها الأول "جريدة أدبية انتقادية، فكاهية " تصدر مرتين في الشهر في أربع صفحات، مديرها هراس مصطفى، ومحررها أبو مرزبة جهينة. وكتب في أعلى صفحاتها الأولى شعار الجريدة وهو الآية الكريمة: " **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** "، وهي تعني بالأبرار جمعية علماء السنة ومن سار على نهجهم من طرقين وغيرهم، وتعني بالفجار حزب الإصلاح المتمثل في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.[4]

ويتبين من خلال أعدادها التسعة الموجودة بالمكتبة الوطنية بالعاصمة، وضوح الغاية التي ظهرت من أجلها، وهي دخولها في صراع مع أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ويظهر ذلك من خلال افتتاحيتها في عددها الأولى إذ جاء فيها: " ... ولنا الحق في القيام بهذا العمل الذي صار واجبا أكيدا لا مبررا فقط،..." إن ما يظهر من خلال أسلوب المقال الافتتاحي والعبارات الانتقادية الهجومية اللاذعة أن الجمعية الآنفة الذكر لا تهدف إلى الدفاع عن أعراض جمعية علماء السنة كما ادعت في بداية الأمر، وإنما الغاية التي تسعى إليها هي القضاء على جمعية العلماء المسلمين، ومشاريعها، ومؤسساتها الثقافية، فكانت تتخص لهذا الغرض ركنا خاصا تحت عنوان "العيار وحرب الفجار"، وكانت تطلق ألقابا مسيئة لأعضاء جمعية العلماء أمثال الشيخ الطبيب العقبي ملقبة اياه "الطريد"، والأمين العمودي بـ" السلوقي العمودي" [5]، كما نشرت صورا لأعضاء الجمعية فيها من السخرية ما يؤكد الصراع الكبير بين الطرقيين والمصلحين ، والذي وصل الى حد المهارات السخيفة .

وسعيا منها لمهاجمة المصلحين، كانت تنتقد الصحف ذات الاتجاه الاصلاحي كجريدة "المرصاد"، في حين كانت تمجد الصحف الطرقية، والمضادة لجمعية العلماء المسلمين مثل جريدة "الأخلاص" والبلاغ العلوية".

---

[1] – محمد الصالح آيت علجت، التصوف الجزائرية من 1920م الى 1955م، ط1، ديوان المطبوعات الجامعة، 2007م، ص 75.

[2] – محمد الصالح آيت علجت، المرجع السابق، ص 75.

[3] – جريدة الاخلاص، العدد الاول، 14 ديسمبر 1932، ص1.

[4] – جريدة المعيار، العدد الاول، 18 ديسمبر 1932، م ر 22، المكتبة الوطنية، بالجزائر، ص1.

[5] – المرجع نفسه، ص1.

والواقع أن المتصفح محتويات أعدادها التسعة الموجودة بالمكتبة الوطني لن يجد في صفحاتها الأربع سوى مهاجمة المصلحين بكل الأساليب الدنيئة، فلم يكن من شباب الإصلاح إلا أن أسسوا جريدة أسموها "الجحيم" للرد على افتراءات الطرقيين، وتوقفت المعيار في 23 أفريل 1932.

–صحيفة الرشاد: جريدة دينية، إرشادية، إخبارية، دفاعية، تصدر كل أسبوع، في أربع صفحات، وتطبع بالمطبعة العربية بالجزائر العاصمة، وقد تولى تسيير إدارتها عبد الحفيظ القاسمي، ثم بعده عبد القادر القاسمي، كما هو في الأعداد الأخيرة منها. ظهر العدد الأول من "الرشاد" في 16 ماي 1938، وجاء فيه ما يلي: "لسان حال جامعة الزوايا والطرق الصوفية، يقوم بتحريرها نخبة من علماء الدين" شعارهم مدلول الآية: **وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ** "[1].

صدرت الصحيفة في ظروف غير مستقرة، فالعالم يعيش أوضاعا يسودها التوتر والحذر، فالتسابق نحو التسلح وكثرة التحالفات، وكثرة النزاعات الداخلية والخارجية، خاصة لدى الدول الاستعمارية، كلها مظاهر كانت تنذر باندلاع حرب عالمية في أي لحظة، كما أن الإعلام ساهم مساهمة كبيرة في تلك الأجواء المتوترة، ولا يخفى أن الصحف العربية تعتبر في قانون الصحافة الفرنسي مصحفا أجنبية، ولذلك فما كان على مسيري صحيفة الرشاد إلا الحذر في تناول الأخبار، لأن كل تلميح من الصحف العربية على أنها ذات أهداف وطنية يؤدي بها إلى التوقف عن الصدور، وتغريم مسيرها وإنزال مختلف العقوبات عليهم . [2]

ومن أهم المواضيع التي تطرقت إليها الرشاد، موقفها من الاستعمار الفرنسي، فنقول:" أما موقفنا من الحكومة الفرنسية فهو موقف المسافة الشريفة، بحيث نراعي الحكمة النبوية فيها، وهي (لا ضرر ولا ضرار)، بل تراعي المصلحة المشتركة، لأننا رأينا وجربنا وجرب من هو أشد تمردا من جادة الاعتدال والاستقامة، وأن طريق منفعة الأمة إنما يكون بسلوك طريق المسالمة والمحبة ما يقتضي به دينا الحنيف أمام الأمة على اختلاف طبقاتها وعناصرها الساكنة وأمام الحاكم أيضا"،[3]

اهتمت الصحيفة بتغطية مؤتمر جامعة الزوايا والطرق الصوفية الذي وصفته بمؤتمر الشمال الإفريقي، بما أنه قد حضره شخصيات من أقطار المغرب، تونس، وحتي من مصر والشام، وركزت على كل تفاصيله بالكلمة والصورة وكتبت بإسهاب حول غاياته وأهدافه، وأثنت كثيرا على الشيخ مصطفى القاسمي الداعي إلى عقده، وصاحب الفضل في تنظيم أكبر مؤتمر عرفته الجزائر من حيث المشاركة والأهمية، حسب رأي الجريدة[4].

وصرحت صحيفة الرشاد بأن مقاصدها هي نفس مقاصد جامعة الزوايا والطرق الصوفية، التي ترى بأن لابد لها من جريدة تسعى إلى حفظ وتنمية ما تركه السلف، والنضال عن الدين والفضيلة ضد المعتدين، وتشرح الصحيفة أهداف تأسيس مشاريعها قائلة:" وشرحنا لكم بأن القصد من تأسيس المدارس محاربة الجهل وبث العلم في صدور فلذات أكبادنا ليكونوا في مأمن من السموم التي ما انفك الخصوم ينفقونها في قلوب الناشئة.[5]

ومن أهم الكتاب في الرشاد نجد، عبد القادر القاسمي، مصطفى القاسمي، وعبد الحفيظ القاسمي الذين نجدهم يكتبون في الغالب المقال الافتتاحي، وإلى جانبهم الحسن الوارزقي، ومُحَمَّد العاصمي، ومن جهة أخرى نجد أسماء غير معروفة في الصحافة الصوفية الطرقية مثل: مُحَمَّد الصالح من قسنطينة، وأبي مزغنة من منطقة القبائل، وابراهيم بن عزوز من زاوية أقلال عين يوسف، كما جاء بعض

[1] – سورة غافر، الآية .38.

[2] - صحيفة الرشاد، العدد 345، 21 اوت 1939م، م ر 9، المكتبة الوطنية، الجزائر، ص1.

[3] – المرجع نفسه، ص2.

[4] – آيت علجت، التصوف الجزائرية من 1920 الى 1955م، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م، ص22.

[5] –آيت علجت، المرجع نفسه، ص122.

القصائد الشعرية على صفحات الرشاد، كقصيدة المكودي عبد القادر العمران من خنشلة يمدح فيها الجريدة، وقصيدة أخرى غزلية تخص الصحيفة، كتبها شاب يسمى اسطنبولي، وهان شكّ فيما إن كان مستعارا أم اسمه الحقيقي وهذا مطلع القصيدة [1]:

قابلتني ذات يوم غادة خلتها شمس الضحى عند النظر

تنظر الحق بعين الحق ليست كأهل الشرك أو عمى النظر

واتسمت برشاد يا لها من رشد لفضها يحكي الدرر

الملاحظ من خلال أعداد الرشاد الموجودة بالمكتبة الوطنية أن العديد من حملة الأقلام الجزائريين كتبوا في مختلف القضايا المحلية، الثقافية والدينية، والكثير منهم كان مهتما بالخلاف بين الطرقيين وجمعية العلماء المسلمين، فيظهر من خلال العدد الثاني لها أنّها تتهم جمعية العلماء باستعمال الدين كوسيلة من وسائل الدعاية لغايات أخرى، وأن مهمة "الرشاد" تتمثل في توجيه الأمة والغاية المرجوة على ما يرضي الله ورسوله، ويرضي لنا شعبا وحكومة[2].

وتوضح الرشاد بأن طريقتها الإصلاح المجتمع تختلف أساسا عن طريقة حزب الإصلاح، وتتهم جمعية العلماء بأنها تستعمل الدين وسيلة من وسائل الدعاية لغايات أخرى، فتقول"وبما أن أغلب الصحف والصحافيين في هذه البلاد يجنحون إلى هذه الطريقة الشاذة، فإن هذه الجريدة قد أسست لتوجه هذه الأمة والغاية الموجودة بطرق حكمة، وبوسائل لا تمت إلى إثارة العواطف بصلة"[3].

فبالرغم من انتقادها لخطة المصلحين بحكم انتمائها الواضح للطرق الصوفية إلا أنه من الإنصاف أن تذكر بأن أسلوبها في تناول خلافها مع جمعية العلماء يتسم بالهدوء والتعقل، وبعيدة كل البعد عن المهارات الشّخصية الدّنيئة، والأسلوب البذيء، مقارنة مع الصحف الأخرى.

وعملت جريدة الرشاد على تعالج مواضيع اجتماعية، ثقافية ودينية بتحليل عميق بدل على غزارة ثقافة أصحابها، فعلى سبيل المثال لا الحصر، ورده مقال من التعليم في العديدين السادس والسابع، بكشف ضعف مناهجه، وسوء نتائجه في المدارس الحرة للتعليم العربي والتعليم الرسمي في مدارس الحكومة الفرنسية، كما اهتمت الصحيفة بالمواضيع ذات الطابع الاقتصادي كتلك التي تتناول بالتحليل "الجزائر الزراعية وحاجتها إلى الإصلاح" ومقالات عن الأزمة الاقتصادية[4]

أمّا القضايا السياسية فقد أعلنت الجريدة الابتعاد عنها كليا حيث تقول: "...لا زلنا نعتبر السياسة والدّين متناقضان، على الرغم مما يقوله المشاغبون بأن الدين لا ينافي السياسة... فنحن نكرر بأنّ السياسية مع ذلك كلها منافية للدين، ويجب الابتعاد عنها ..."

[1] – المرجع نفسه، ص126.

[2] – جريدة الرشاد، المرجع السابق، العدد 25، 08 ماي 1938م.

[3] – المرجع نفسه، العدد 2، 30 ماي 1938م.

[4] – المرجع نفسه، العدد8، 28 جويلية1938م.

ويبدوا أن صحيفة الرشاد وإثر صدور القرار(طبيعته وتاريخ صدور القرار) الذي أخضع الصحف العربية للمراقبة الصارمة، ولعلّ آخر عدد ظهر منها هو العدد 56 الصادر في 16 نوفمبر 1939، حسب النسخة المسجلة في الميكروفيلم بالمكتبة الوطنية تحت رقم م.ر/9، ويقول مُحَمَّد ناصر بأنه يبدو أن الجريدة آخر ما صدر منها هو العدد 53 بتاريخ 25 سبتمبر 1939.

2-موقف جمعية علماء المسلمين من الطرقيين من خلال كتاباتهم:

أ-موقف الجمعية: جاء في سجل الجمعية الذي يمثل ميثاقها العام أنّ الإصلاح الديني بأوسع معانيه الذي كان يعمل له المصلحون فرادى؛ وإنما كانوا مسيرين بفكرة لا تستند على نظام، فأصبحوا بعد تأسيس الجمعية مسيرين بتلك الفكرة نفسها مستندة على نظام مقرر، وبرنامج محرر. وتأسيس هذه الأخيرة لم يزد على تلك الحال ولم ينقص منها، لأن هؤلاء المصلحين لا يعملون مسالمين ومحاربين إلا عن إيمان وعقيدة. وعقيدتهم في حربهم على الطرقيين هي أنها علّة العلل ورأس الفساد وسبب ما أصاب الأمة من مرض ويأس وانحطاط، وكانت من صلب أولوياتهم، وهذا صحيح لكنّ هذا لم يتقص من جهدهم ولم يصرفهم عن الاهتمام بالشأن العام الآخر وهو التربية والتعليم، ومحاربة الآفات الاجتماعية. هذا هو خطّ سير الجمعية كما هو مدوّن في سجلها.[1]

ب-الجرائد:

-الشهاب: بعد تعطيل المنتقد، وفي نفس السنة (أي في سنة 1925م) أصدر الشيخ عبد الحميد بن باديس جريدة (الشهاب) وكانت في أول الأمر أسبوعية، ثم تحولت في فبراير من سنة 1929 م إلى مجلة شهرية، تحتوي افتتاحية، ومقالات وفتاوى وقصصا وأخبارا وطرائف وتراجم وغير ذلك، وكان في السنوات الأولى يكتب معظم مقالاتها بنفسه، ويوزعها أيضا بنفسه، وقد استمرت في الصدور إلى الحرب العالمية الثانية ثم توقفت في سبتمبر 1939م. أما علاقتها بالطرق الصوفية، وحربها عليها، فلا يحتاج إلى أي دليل، ذلك أن الشيخ ابن باديس نفسه صرح بدورها في هذا المجال، حيث نشر بعد ما يقرب من عشر سنوات من تأسيسها يقول: "وبعد فإن مجلة (الشهاب) تفخر بأنها أنشئت للحركة الإصلاحية ورافقتها في جميع مراحلها وأنها هاجمت البدع في معاقلها واثبت الخرافات في أيام عزها واشتدادها، وساورت الأباطيل على احتفالها واستعدادها لم تهن لها عزيمة في موقف من المواقف التي تخور فيها العزائم وترجف الأفئدة، ولم يكتب لها قلم في ميدان من الميادين التي تنعقد فيها الألسنة وتجبل القرائح".[2]

وقد ذكر ابن باديس بعض النماذج عن البدع التي كانت تحاربها الشهاب في هذا المجال، ونجاحها فيها، فقال: "نشرنا في جزء ربيع الثاني من العام الماضي الفتوى التي أصدرها عشرون عالما من علماء طرابلس الغرب في وجوب إلغاء ما يستعمله أصحاب الطرق من المشي على الفحم المصهور وابتلاع العقارب والأفاعي والحشرات السامية وطعن أجسادهم وثقبها بالآلات الحادة. وقدموا في ذلك مطالبا لحكومة البلاد وعملت على تنفيذه، ثم اطلعنا على عريضة مؤرخة بربيع الأول من العام الماضي قدمها نحو الثلاثين عالما من علماء المغرب الأقصى من مدرسين بجامع القرويين وغيرهم إلى جلالة مولانا السلطان (سيدي مُحَمَّد)... يشتكون إليه ما كان من مخالفة ما تقدم من أمره بمنع بدع كل الطوائف المبتدعة كطائفه العيساوية وغيرهم، ويرغبون من جلالته إصدار أوامره بزجر المجرمين المخالفين فصوت العلماء بالإصلاح الإسلامي والحمد لله قد أرتفع من مصر وطرابلس والجزائر والمغرب الأقصى وما بقي ساكنا إلا جامع الزيتونة، فلا تسمع له همسا..."[3]

---

[1] -سجل مؤتمر جمعية علماء المسلمين، دار المعرفة، الجزائر، ص 47.

[2] - المرجع نفسه، ص48.

[3] - عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، ت عمار طالبي، ج1، ط1، دار مكنية الشركة الجزائرية، ص351.

وهو نجاح يستحق الاحترام من زاويتين: الأول: هو كون ما ذكر من البدع والمنكرات من المتفق عليه بين الأمة جميعا، ولا يخالف فيه أحد، لا صوفي ولا سلفي. والثاني: هو أن اللغة التي استعملت في المحاربة لغة علمية، وهي فتاوى العلماء.

وهذا ما يريده الصوفية أنفسهم من الجمعية أن يتحاوروا حوارا علميا، لا حوار سخرية وسباب، وأن يكون الإنكار في حال تحققه في المتفق عليه لا في المختلف فيه. ولكن الشهاب لم تسير على هذا الخط في جميع القضايا، فقد تبين من قبل كيف لم يرض الشيخ العقبي إلا أن يكتب فيها بالطريقة التي يريد، لا بالطريقة التي طلب منه الشيخ ابن باديس.[1]

لكن ابن باديس شعر بأنه وقف بين مفسدتين: مفسدة كف بعض الأقلام المهمة في الكتابة في صحيفته كالشيخ الطيب العقبي، ومفسدة اشتداد الشقاق بينه وبين الطرف الصوفية، فاختار أهون المفسدتين في تصوره،

وقد ذكر الإبراهيمي خبر تأسيسها الذي جاء بعد غلق جريدة المنتقد، وهي أول جريدة إصلاحية بالشمال الأفريقي، فكانت أرفع صوتا وأفعل وسيلة لنشر الإصلاح الديني، فخافها الاستعمار الفرنسي وعطّلها في مدة وجيزة، فأصدر المرحوم جريد (الشهاب) كانت أسد رماية، وأوسع خطى من سابقتها، وسكت عنها الاستعمار فنقلها صاحبها من جريدة إلى مجلة، طال عمرها بضع عشرة سنة، مثلت صوت الحركة خير تمثيل، وعبرت عن أفكارها، وكانت لها مواقف رائعة في عدة ميادين، فخدمت العلم والدين والسياسية، وتردد صداها في المغارب الثلاثة، وفضحت الاستعمار الفرنسي وكشفت جرائمها، وبدروس الأستاذ عبد الحميد بن باديس، ومجلته (الشهاب)، استحق لقب "باني النهضة الجزائرية بجميع فروعها "لم يقل صاحب المصدر لماذا سكت عنها الاستعمار، هل كان تكرما منه أم لقاء تنازلات ما؟ أم لأن" الجريدة غيرت سير خطها؟[2]

–صدى الصحراء: وهي من أوائل الصحف التي أسسها الشيخ الطيب العقبي والشيخ أحمد العابد، وهي – كما وصفها الباحثون– جريدة علمية أدبية واجتماعية انتقادية شعارها "العمل لدرء المفسدة قبل جلب المصلحة"، وهذا يدل على مدى العلاقة التي تربطها بالطرق الصوفية، ولهذا لم تعمر طويلا، فقد أوقفت من طرف إدارة الاستعمار بوم 26 / ديسمبر 1926 م.[3]

ولكن لماذا أوقفتها السلطات الاستعمارية هل هذا حرصا منها الطرقيين أم تضييقا على الشيخ الطيب العقبي؟ هذا الأخير لم يكن يوما على وفاق مع السلطات الاستعمارية فهو لا يقف عند الشأن الاجتماعي والثقافي وإنما يتعداه الى ما هو سياسي.

–السنة المحمدية: وهي صحيفة أسبوعية كانت تصدر بقسنطينة، وهي أول جريدة ناطقة بلسان جمعية العلماء المسلمين، يديرها الشيخ ابن باديس، ويرأس تحريرها عضوان من إدارة الجمعية، عرفا بعدائهما الشديد للطرق الصوفية، وهما الشيخ الطبيب العقبي، والشيخ مُحَمَّد السعيد الزاهري.

وقد تأسست بعد تأسيس الجمعية بسنتين، وبعد حوالي ثماني سنوات من صدور الشهاب، وكان أول عدد منها في الثامن من ذي الحجة سنة 1351هـ (1933 م)، وسرعان ما أوقفتها الإدارة الاستعمارية بحيث صدر آخر عدد منها في 10 ربيع الأول سنة 1352 هـ الموافق ل 23 جويلية 1922 م.

وكان شعارها قوله تعالى: {ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة }[الأحزاب: 21]

---

[1]– المرجع نفسه، ص352.

[2]– مُحَمَّد البشير الابراهيمي، آثاره الامام مُحَمَّد البشير الابراهيمي (1929–1940م)، ت أحمد طالب الابراهيمي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997م، ص114.

[3] – مفدي زكريا، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، مؤسسة مفدي زكريا، 2003، ص2.

فقط، ولم يتغير فيها شيء عن سابقتها إلا في الشكل فقد جعلت من الآية: {ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها} [الجاثية: (18)]شعارا لها بدلا من الآية: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة}. [الأحزاب: (21)]

وقد احتفظت بالمواد التي احتوت عليها والخطة التي كانت تتبعها، والكتاب الذين كانوا يحررون فصولها، وبنفس الأسلوب وبالنهج الإصلاحي نفسه، وهي بذلك قد حملت قرار تعطيلها في مقالها الافتتاحي كما عبر عن ذلك الدكتور مُحَمَّد ناصر.[1]

وفعلا كان تعطيل هذه الجريدة بعد أمد قصير، إذ لم يصدر منها سوى 17 عددا، وقد أوقفتها الإدارة الاستعمارية في 28 أوت ستة 1933 م أي أنها لم تستمر في الحياة سوى أربعين يوما.

-الصراط السوي: بعد توقيف صحيفة "الشريعة النبوية" أصدرت الجمعية في 11 سبتمبر 1933 م جريدتها الثالثة تحت اسم "الصراط السوي" محتفظة بشعار سابقتها صحيفة الشريعة، إلا أنه تم توقيفها هي الأخرى من طرف الإدارة بعد ثلاثة أشهر فقط من صدورها وذلك في شهر يناير سنة 1934م.

وقد نقلت الصراط مقالها الافتتاحي لعددها الأول تصريحا للوالي العام الذي تملص من مسؤولية العراقيل الإدارية، ولعله جعل ذلك تحت ضغط برقيات الاحتجاج والتنديد التي وجهتها جمعية العلماء إلى السلطات الحاكمة المسؤولة في كل من الجزائر وفرنسا من مسلكها المتعسف تجاه جمعية دينية تهذيبية.

وقد علق ابن باديس على هذا التصريح مؤكدا على تصميم الجمعية على الصمود أمام والحديث الشريف: "من رغب عن سنتي فليس مني"[2]

وهما يدلان على نهجها المواجه للطرق الصوفية، لأن السنة في ذلك الحين لم يكن يقصد بها إلا هذا المعنى، بدليل أنها سميت بذلك ردا على الجمعية التي أسسها الطرق الصوفية باسم السنة.

وهذا على الرغم من أن ابن باديس عبر في مقالها الافتتاحي أبان القصد من هذه الجريدة هو: نشر السنة النبوية المحمدية، وحمايتها من كل ما يمسها بأذية، وخطتنا الأخذ بالثابت عند أهل النقل الموثوق بهم، والاهتداء بهم وبالأئمة المعتمد عليهم، ودعوة المسلمين كافة إلى السنة النبوية المحمدية دون تفريق بينهم والاهتداء بنبيهم ﷺ في القوال في سيرته العطرة. وقد كان من أبرز كتابها على صفحاتها الأربع الزاهري، ويكفي اسمه لمعرفة المواضيع التي يحسن الكتابة فيها.

وبناء على هذا، فقد أصدر وزير الداخلية قرارا يقضي بتعطيل جريدة السنة بعد صدور 13 عددا منها بتاريخ 16 فيفري 1933 م [3]

-الشريعة المحمدية: لما عطلت السلطات الاستعمارية جريدة السنة أعادت الجمعية إصدارها باسم (الشريعة المحمدية) في 17 جويلية سنة 1933 م، أي بعد التوقيف بأربعة عشر يوما فقط، ولم يتغير فيها شيء عن سابقتها إلا في الشكل فقد جعلت من الآية: {ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها} [الجاثية: (18)] شعارا لها بدلا من الآية: {لقد كان لكم في رسول الله أسو حسنة} [الأحزاب: (21)].

وقد احتفظت بالمواد التي احتوت عليها والخطة التي كانت تتبعها، والكتاب الذين كانوا يحررون فصولها، وبنفس الأسلوب وبالنهج الإصلاحي نفسه، وهي بذلك قد حملت قرار تعطيلها في مقالها الافتتاحي كما عبر عن ذلك الدكتور مُحَمَّد ناصر.

---

[1] – محمد ناصر، الصحف العربية، ص153.

[2] – محمد ناصر، المرجع السابق، ص181

[3] – ابن باديس: بواعثنا، خطتنا، غايتنا ، السنة، ع1 ، س1، 20/04/1933، ص 8.

وفعلا كان تعطيل هذه الجريدة بعد أمد قصير، إذ لم يصدر منها سوى 18 عددا، وقد أوقفتها الإدارة الاستعمارية في 28 أوت ستة 1933 م أي أنها لم تستمر في الحياة سوى أربعين يوما

-**الجحيم**: وهذه الصحيفة تعبر عن مدى الانحطاط الذي وصلت إليه العلاقة بين الجمعية والطرق الصوفية، وقد صدرت في حدود فترة زمنية قصيرة جدا، أي ما بين مارس وماي منه 1933هـ وكانت بداية تأسيسها متزامنة مع صحيفة (السنة) [1]

كانت تصدر سريا في المطبعة الجزائرية بقسنطينة، وتوزع في الجزائر العاصمة كأنها تصدر هناك، أسندت إدارتها إلى الفرنسي الذي أسلم (مُحَمَّد شريف جوكلاري)، وكان يحررها رفقة الزاهري، ومُحَمَّد الأمين العمودي، وحمزة بوكوشة، ومُحَمَّد الصالح خبشاش، وعبد الرحمن غريب. وقد عبرت عن نفسها بأنها: (جريدة مستقلة تدافع عن الشرف والفضيلة)، وكان شعارها (العصا لمن عصى).[2]

ويذكر الباحثون أنها كانت موجهة كرد فعل على هجومات جريدة (المعيار) التي كانت تهاجم الإصلاحيين، وقد كانت هذه الجريدة أقرب إلى الهجاء منها إلى الأخبار والإفادة العامة، وكان كتابها يكتبون تحت إمضاءات مستعارة منها: رئيس الزبانية، وهو كاتب الافتتاحيات ومنها: هامان، مسرور، مراقب، شبيب، الراوي، شاعر الزبانية، ال بودفرة. ويذكر السائحي عن الشيخ حمزة بوكوشة: أن مُحَمَّد السعيد الزاهري ومُحَمَّد الأمين العمودي ومُحَمَّد الصالح خبشاش وحمزة بوكوشة نفسه هم المؤسسون لصحيفة (الجحيم) وخاصة منهم مُحَمَّد الأمين العمودي ومُحَمَّد السعيد الزاهري، وأن هذا الأخير. حسب السائحي دائما. هو رئيس الزبانية، وأن الفحل وبودفرة هما شخص واحد ألا وهو الشهيد الصحفي المترجم مُحَمَّد الأمين العمودي. وقد نشرت صحيفة (الجحيم) للشيخ مُحَمَّد البشير الإبراهيمي، والشاعر مُحَمَّد العيد آل خليقة حسب شهادة بوكوشة.

وقد ذكرت في أول أعدادها الدافع الديني لها، فقد كتب (رئيس الزبانية) يقول: (كان سيدنا عبد الله بن عباس ض جالسا في مجلس ينشر العلم، فشتمه أحد الطغمة الرعاع، فسكت عنه ابن عباس، ولم يجبه، ولكن أحد الحاضرين قام إلى هذا الشاتم المعتدي بصفعه وجلد به الأرض، فاستحسن سيدنا عبد الله بن عباس هذا الدفاع وقال: (ليس بعزيز من ليس في قومه سفيه).[3]

ولسنا ندري مدي صحة هذا النص الذي استنتجوا منه الحكم الشرعي بالتعامل البذيء المخالف، ثم ذكروا المصداق الذي ينطبق عليه الحديث الذي رموا به ابن عباس، وقد عبر عليه هذا الرئيس بقوله: (وقد ظهر في هذه الأيام رهط ينتسبون إلى الجنس البشري وهو يتبرأ منهم، هؤلاء الخنازير اتخذوا الشتم وثلب الأعراض حرفة وقذف أهل العلم والفضل بضاعة ووجوها رغم الأزمة التي كسدت بسببها البضائع الأخرى.. وقد أسسوا ورقة عفنة سموها (المعهر) وهي حقيقة معهر من أقذر وأنجس المعاهر وكتبوا في تلك الورقة ما أطربوا به بعض السفهاء أمثالهم، وما خوفوا به بعض الجبناء، وأيقنوا أن الجو خلا لهم وأن بلاد الجزائر لم يبق فيها إلا من يناصرهم أو يهابهم، وليس فيها من يحاربهم أو بلعنهم أو ينتقدهم وهكذا شان اللئيم يزيده سكوت خصمه جراءة ولا يقبل إلا اليد التي تصنعه.. وقد أسسنا هذه الجريدة المباركة الطاهرة النقية العفيفة النزيهة لا لغرض سوى الانتقام للفضيلة والدفاع عن الأعراض البريئة وتطهير قطرنا العزيز من الجراثيم الخبيثة التي انبتها فيها الطمع وحب الرئاسة والتكالب على جمع الأموال الطائلة وتحصيل الألقاب الهائلة. وستذيق أهل الزيغ والكفر والعناد أضعاف ما اعتدوا به على السادة الأبرياء من عباد الله.[4]

---

[1] – محمد ناصر: الصحف العربية، ص 132،153.

[2] – محمد ناصر، المرجع السابق، ص154.

[3] - الجحيم، العدد الاول، بتاريخ 30 مارس1933.

[4] – المرجع نفسه، 1933م

-**البصائر**: وهي رابع صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الأسبوعية، وقد أنشئت بعد تعطيل الإدارة الاستعمارية لثلاث جرائد للجمعية في سنة واحدة - السنة المحمدية (1933-1933) الشريعة المطهرة (1933-1933) الصراط السوي (1934-1933)، وبعد توقف آخر صحيفة رسمية للجمعية، منعت من إصدار أية صحيفة باسمها، وقد دام هذا المنع قرابة السنتين (من يناير سنة 1934 م إلى سبتمبر سنة 1935 م) إلا أنه بعد جهود كبيرة بذلتها الجمعية لأجل الحصول على رخصة من الحكومة الفرنسية أثمرت بإصدار الصحيفة التي صدرت في 27 سبتمبر 1935م.

وهي من الصحف التي لم تتعرض لها الإدارة الاستعمارية حيث ظلت تصدر بانتظام إلى سنة 1939 م، وقد أشرف عليها الشيخ الطيب العقبي من أول عدد لها (27 سبتمبر 1935م) إلى العدد 83 الصادر في (30 سبتمبر 1937 م)، حين تحولت إدارة تحريرها من العاصمة إلى قسنطينة، وعين المجلس الإداري لجمعية العلماء الشيخ مبارك الميلي مديرا ومحررا لها خلفا للشيخ العقبي إلى أن توقفت بسبب الحرب عند العدد 180 الصادر في 25 أوت 1939 م، حيث قررت الجمعية تعطيلها مع إعلان الحرب العالمية الثانية، لئلا تتعرض الضغوط ومساومات الإدارة الاستعمارية التي طلبت منها أن تعلن باسمها وتكتب في صفحاتها تصريحات ومقالات ضد دول المحور.[1]

وعادت إلى الصدور بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية من عام 1947 م إلى غاية 1956م، بإشراف وإدارة رئيس الجمعية الثاني الشيخ مُحَّد البشير الإبراهيمي، وقد بدأ صدورها يوم 25 جويلية 1947 م، ولكنها لم تلبث أن توقفت عن الصدور مجددا من طرف المشرفين عليها سنة 1956 م، وكانت تصدر يوم الجمعة قبل أن تتحول إلى يوم الاثنين، وتحتوي على ثماني صفحات، ويكون العنوان دائما أسودا وفي بعض الأحيان أخضرا أو أحمرا، ويكتب فوقه الآية القرآنية:{ **قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ** } .[الأنعام: (104)][2]، وتحت العنوان كتبت هذه العبارة "لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" ويزخر كل عدد بمجموعة من الصور. وهي تعد من أهم الجرائد التي أصدرتها الجمعية باعتبار طول المدة التي أتيحت لها، وباعتبار المواضيع التي كانت تناقشها، فقد كانت تناقش جميع القضايا التي تهم الجزائر والعالمين العربي والإسلامي، بالإضافة إلى صراعها مع الفرق الصوفية.

ولا حاجة الى نقل الكثير من الشواهد، لأن أكثر ما تم عرضه من اقتباسات من الشيخ ابن باديس والإبراهيمي والعربي التبسي وغيرهم منها تقريبا يغطي نفس الخطّ ويقدم نفس الرسالة

ومن الشواهد الكثيرة على الصراع بين الطرفين الذي تعددت أوجهه، الجانب العقائدي الذي توسع ليشمل جوانب عديدة، كقراءة القرآن على الأموات وقبض الأيادي في الصلوات والبسملة والتعوذ وترك الوسيلة وكرامات الأولياء. وبالنظر لأهميتها فقد اشتد فيه الوطيس، فمسألة" قراءة القرآن على الميت" بين جوازها من عدمه، حيث نشر الشيخ ابن باديس في جريدة البصائر، العدد 16، فتوى بعدم جواز ذلك، ردا منه على شيخ الإسلام الطاهر بن عاشور الذي أفتى بجواز قراءة القرآن على الأموات وأنه لا حرج في ذلك، وردا على ما قاله الشيخ عبد الحميد بن باديس، في حقّ شيخ الإسلام ابن عاشور، ومما كتب ما يلي:

وردا على تعليقات الصنهاجي، والله أكبر، ذهب الحياء ونضب ماؤه من الوجوه، ...بالرد على شيخ الإسلام التونسي وبقذف قلمه على أوراق الدعاية والبهتان نتائج من أفطر على زيت الخروع ولا يستحي من تلك السخافة التي يوازي بها الجواهر العاشورية ... ...وما جاءت من مسائل العلم إلا بمنع قراءة القرآن على الأموات وقبض الأيادي في الصلوات والبسملة والتعوذ فيها وترك الوسيلة والنبي فلا شفاعة

[1]- الجحيم، المرجع السابق، 1933م.

[2]- سورة الانعام، الآية .104

ولا شفيع ولا ولي ولا مرابط، هذه هي طريقتهم السلفية التي يدعون إليها ويشرئبون بأعناقهم في سبيلها وفيها تعمرت أمخاخهم وبها تزرعوا على العراء بضاعتهم العلمية التي التقطوها من معاهد السفه والملاهي...[1]

وهذا مقال ثان مما جاء فيه... ...في الحالة التي سار فيها يستخدم الدين والعلم في أغراض شخصية ومطامع دنيوية...، لقد اضطرب مقاله بخليط كلام يلعن آخره أوله، زعم أنه جبل على حب شيوخه وبخاصة الأستاذ ابن عاشور ثم كان أخر مقاله طعنا ولمزا وتعريضا بأمانة شيخه العلمية، فهذا من آثار المحبة للمشايخ أم هو اضطراب قبيح وعقوق صريح؟، كما قال الشاعر

كم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجائي

... لو كان ابن باديس متخلقا بأخلاق أهل العلم لأتبعهم في أساليب مباحثاتهم فكان بحثه علميا مجردا من الخلط الذي هو شعار الأحمق إذا غضبه...[2]

وفي مقال آخر صب فيه صاحبه جميع غضبه على أسلوب الشيخ ابن باديس الذي اعتمده في الرد قائلا ... فالأسلوب الذي توخاه ابن باديس في النقد وهو أسلوب مناف كل المنافاة للآداب الإسلامية ... ...ومن أعجب العجب أن ابن باديس قد خرج لأول مرة عن مراعاة هذه القواعد الأصولية.. بمثل قوله في البصائر شيخ الإسلام" يقاوم السنة ويزيد البدعة ويغري السلطة ... ...

ووصف أحد الرجال الطرقيين ما كتبه ابن باديس عن الموضوع، ما هو إلا خبط وخلط يثبتان ما في نفس الأستاذ من أمراض الغرور وحب الرئاسة والألقاب الكاذبة ونهب أموال البلهاء المغفلين باسم الدين والإصلاح، ولما تبخر وأصبح جسما هوائيا الحل في الإفتاء مكان القبائلي كما يحل الجان رأس المجنون...». كما تستعلى في الأخير عن سبب التطور المفاجئ الذي طرأ على عقلية ابن باديس؟[3]

وتذكر موقعة حمام القرقور التي تعتبر من بين المواقع التي دارت فيها رحى هذه الحرب. وقد جاء إن خلافات وقتية قد قامت بين سكان تلك الناحية أدت إلى تدخل الجندرمة والقائد موبيل بسبب ميادين السلام التي توزعها جمعية العلماء في الأمة المهنية وصورة هذه الفتنة أن فريقا يرى قراءة سورة يس على الدفن جائزه ولا ضرر في ذلك، والفريق الآخر من أتباع جمعية العلماء يرى أن قراءة القرآن سواء على الدفن أو في محل الميت لا يجوز ويفسق عاملها، ويعظم ويقع الثناء على كل من مات له ميت ولم يقرأ عليه ولو أية من القرآن فذلك هو السعيد وذلك عمل المسلمين في مبادي جمعية العلماء ولا حول ولا قوة إلا بالله على ما حل بالمسلمين من الفتن والافتراق... ».[4]

وبلغت درجة التطاحن أوجها بتقنية من نزعة الانتصار للذات ظهرت نتيجته خلال موسم المولد النبوي الشريف أين عقد الطرقيين أرباب الزوايا وأتباعهم اجتماعا فيما بينهم تقرر فيه مخالفة جمعية العلماء المسلمين في كل ما نهت عليه، وبالفعل هذا ما حدث ففي اليوم السابع للمولد اتحد الطرقيون وخرجوا في مظاهرات بالأنهج والشوارع ليلا، كانت الطبول والمزامير حاضرة بها (دوي وصراخ).

[1]- جمال محمود احمد الطاهير بن عاشور، سير ومواقف، مجلة اردتبه في الدراسات الإسلامية، العدد 5، جوان 2009م، ص.57

[2]- جمال محمود احمد الطاهير بن عاشور، المرجع السابق، ص86.

[3]- النجاح، العدد 1857 م ، الأربعاء 10 جوان 1936 م، ص2.

[4]- النجاح، العدد 2139، السبت 21 ماي 1938م، ص 2.

ومن صور هذه المخالفة ما حدث عند وفاة زوجة أحد أعضاء المجلس البلدي القسنطينة في 15 جويلية 1933م، التي تبعت جنازتها "الإخوان" بالشكر الجهوري إلي المقبرة، وهذا الأمر كان منهي عنه من طرف مفتي قسنطينة منذ 12 سنة، لكن الطرقيين عزموا على إحيائها تحديا للمصلحين، كرد عن تجاوزاتهم المتكررة التي وصلت إلى درجة تشنيع بل تكفير أسلافهم. [1]

واعتبرت جماعة الطرق الصوفية أن تركيز جمعية العلماء المسلمين على قضايا فرعية كما يرونها- خطأ منهجي خطير، فمثل محاربتها لما أطلقت عليه البدع كان من الأولوية مواجهة خطر الاستعمار والتبشير، وفي بيان هذه الأخيرة نشرت جريدة الشريعة التي كانت لسان حال جمعية العلماء المسلمين مقالا تحت عنوان الدين الإسلامي بين المبشرين والمبتدعين عقد فيه مقارنة بين ما تقوم به الطرق الصوفية وما يقوم به المبشرون، وخلص إلى نتيجة تفضي الى تفضيل المبشرين على الطرقيين

وفي مقارنة أخرى يقول الشيخ مبارك الميلي أن المشاغبون في الدين هم المرابطون والطرقيون والقبوريون، والمشاغبون في الدنيا هم غلاة المسنين، والفريقان مجتمعان على نقطة واحدة وهي المحافظة على جهل الأمة وتأخرها لاستغلال جمودها.[2]

[1]- النجاح، العدد 1590، الأحد 22 جويلية 1933 م، ص 2.

[2]- المبارك بن مُحَمَّد الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ط1، تع: أبي عبد الرحمان محمود، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض،2001 م، ص80.

-خلاصة:

ما يمكن الخروج به من خلال هذا الفصل الذي تحدث عن الصراع والصدام بين التيار الطرقي والتيار الإصلاحي هو النتائج التالية:

-إن العلاقة بين الطرفين خلال سنة 1926 ميزها الصدام وكانت بدايتها حادثة محاولة اغتيال الشيخ عبد الحميد بن باديس، والتي جاءت بعد الرسالة العلمية التي ألفها للرد على الشيخ ابن عليوة لسوء أدبه مع النبي ﷺ وعلى عاداته المنافقة للعقيدة الإسلامية.

-خروج الطرقيين من الجمعية مبكرا نتيجة لتضارب في الأفكار، وأسس الطرقيين عقب خروجهم جمعية علماء السنة ليبدأ الجدل على الإسلام الصحيح. والتضارب حول المسائل العقائدية، والتي نظر إليها كل فريق بمنظوره الخاص.

-وقفت الطرق الصوفية تدافع عن كيانها بحجة أن أساسها التصوف وأن أصوله إسلامية، وغايتها تحفيظ القرآن وتلاوته.

-كان للاستعمار الفرنسي دور كبير في تغذية روح الصدام والخلاف لان في هذا خدمة لمصالحه وانشغال العلماء بقضايا ليست جوهرية.

-وما يلاحظ أيضا هو أنّ الجمعية استندت على الأدلة الشرعية في نقد ومواجهة الطرقيين، ومن دون توظيف أيّ أدلة عقلية أو فكرية في المواجهة، كما كانت لغتهم بسيطة ومفهومة وقريبة من فهم العامة من الناس وهذا ما عزز من حججهم وإقناعهم ومن فرص نجاحهم ردّ خصومهم الى جادة الصواب أو على الأقل التقليل من خطرهم في التأثير على المجتمع، وهذا يدل أيضا على أنّ العلماء كانوا نقليين في منهجهم وهو ما تؤثره المدرسة السلفية وكانوا بحاجة ماسة الى الاجتهاد أكثر وهو أمر لا يتأتى إلا بإعمال العقل في النص الديني وهو ما لم يكن متاحا في تلك الفترة.

-خلف هذا الجدل الفكري بين الطرفين ميراثا لا بأس به من مصادر مكتوبة شارك في وصولها الينا ازدهار الطباعة، قد حوت اجتهادا فقهيا وعقائديا ونظما منثورا وشعريا ورائعا، وهو ما يدحض كل من رمى تاريخ الجزائر بالتخلف في تلك الفترة الزمنية التي عطل فيها الاستعمار مقدرات الأمة.

-كما دلّ هذا الجدل على حيوية الفكر الجزائري ونضجه وعدم انزلاقه للعنف، رغم ما كان هناك من مشاحنات عنيفة.

الفصل الثالث: انعكاسات الصراع بين الطرقيين والاصلاحيين على المشهد.

تمهيد

- **أولا: نتائج الخلاف بين الطرقيين والاصلاحيين.**
- **ثانيا: رد فعل الاستعمار الفرنسي حول الصراع بين الطرقين والإصلاحيين.**

خلاصة

تمهيد:

الخلاف بين الطرقيين والصوفيين خلال فترة ما بين الحربين العالميين هو أولا وقبل كل شيء طرفيه من مكونات الشعب الجزائري، وأي خلاف بينهما لا بد وأن ينعكس سلبا عليهما وعلى الشعب وعلى مسار الحركة الوطنية بشكل عام، ولا بدّ من الإشارة هنا أنّ الاستعمار هو المستفيد من هذا الصراع وهذه الفرقة، وهو المستفيد أيضا من تفكك الحركة الوطنية في مرحلة ما، لكن ألم تستفد الحركة الوطنية من هذا الصراع؟ هل يمكن القول أنّ الحركة الوطنية قامت بتجديد نفسها وتطهير صفوفها من كل المرتابين والمشككين واليائسين والمعولين على بقاء الشعب تحت رحمة الجهل والفقر والأمية، ...؟ ثم هل يمكن القول أنّ جمعية العلماء ولدت في اللحظة المناسبة لتقدم الانعطافة المطلوبة؟

إنّه وبالرجوع الى الفصل الثاني يلحظ القارئ كيف أن جمعية العلماء بدأت قريبة من تحقيق الهدف المنشود، وكانت الغلبة لها في حربها مع الطرقيين، ويلحظ القارئ كيف أنّ الجمعية أنقضت المجتمع الجزائري من درجة الانحطاط الديني والفكري والاجتماعي، والتي عملت جاهدة للمحافظة على المعالم الإسلامية الدينية ومحاولة تصفية الموروث الثقافي السلبي خاصة تلك الانحرافات المتولدة من بعض الطرق الصوفية التي لم تخف مجاهرتها بتبعيتها للإدارة الفرنسية من أجل الحصول على المال أو الجاه و السلطة و النفوذ، ومن خلال هذه الفجوة تسللت السلطة الفرنسية بين مكونات الشعب لتعمق الهوة بينه وبين تاريخه العربي الإسلامي، ولكن هل تمكنت من النجاح؟

الفصل الثالث: الصراع بين الطرقيين والإصلاحيين نتائجه وانعكاساته على الطرفين والفرنسيين.

أولا: نتائج الصراع بين الطرقيين والاصلاحيين.

1-زرع الفتنة والفرقة بين الطرفين: لقد عير ابن باديس عن تبعات تلك الأزمة التي حصلت بين الجمعية والطرق الصوفية بعد سنة من التأسيس، فقال: "ها هو القانون الأساسي للجمعية كما وضع أول مرة منذ خمس سنوات، وقد كان الذين وضعوه شطرهم مع الطرقيين، ولكنهم ما أكملوا السنة الأولى حتى فروا من الجمعية وناصبوها العداء واستعانوا عليها بالظلمة ورموها بالعظائم وجلبوا ... ... ذلك لأنهم وجدوا كثيرا من الآفات الاجتماعية التي تحاربها الجمعية هم مصدرها وهي مصدر عيشهم، ... ... وقد شاهدوا مظاهر الغضب بالفعل منهم فما رفضتهم الجمعية ولا أبعدتهم ولكنهم هم أبعدوا أنفسهم"[1]

بهذه اللغة الشديدة اللهجة تحدث ابن باديس والتي تكيل الكثير من الاتهامات للطرقيين والتي تحملهم تبعات ما حصل، وإن كان العقل والمنطق لا يميل الى تضخيم مساوئ الخصم، ولكن يجب التسليم بأنه كان هناك تبلور لفكر وثقافة جديدة تأبى التسليم بالأمر الواقع، وكان هناك ثقافة راكدة متعايشة مع واقع الاحتلال تحتاج الى نقد ومراجعة، وكان لهذا كله تبعاته وكلام رئيس الجمعية يشير الى الكثير من النتائج السلبية، والتي يمكن الحديث عنها وباختصار:

لقد كان الخلاف موجودا بين الجمعية والطرق الصوفية قبل تأسيسها، ولكنه كان خلافا لا يعدو أفرادا من الإصلاحيين، ولم يتعد إلى مستوى الجمعية، وهناك من يحاول تلفيق التهم لها بدخولها السياسة والشذ عن الخط الإصلاحي الذي رسمته لنفسها، والواقع يفند مفترياتها والحكمة نفسها ترى بعين الرأس من المشاغب ومن المهيج، ومن الذي يكتب في جرائده السياسة وينشرها في الناس بعكس ما يتظاهر به للحكومة[2].

وحتى ينكتشف للناس خطورة هذا البيان وتأثيره في تفكيك وحدة المجتمع الدينية والثقافية، بل والسياسية يجب التذكير أن أنه كان للزوايا والطرق الصوفية في تلك المنطقة خصوصا كبير الأثر في مواجهة التبشير والحفاظ على الهوية إلى درجة أنه صدر من الجمعية قرار سري -ذكره الشيخ خير الدين -يقضي بمنع مقاومة الزوايا والمرابطين في بلاد القبائل التي كان للكنيسة نشاط تخريبي هدام منظم، ما يتحتم توظيف تلك الزوايا في بث الوعي الديني الإسلامي ورد شبه المنصرين عمليا"[3] وربما هذا ما يفسر عدم التغلغل الكبير للجمعية في منطقة القبائل وعدم منافسة الطرقيين في عقر دارهم، وهذا يعبر عن وعي الجمعية وتصرفهم بمنتهى الحكمة والمسؤولية، وتغليبهم المصلحة الوطنية على المصلحة الخاصة.

---

[1]- عبد الحميد ابن باديس، آثار بن باديس، ت عمار طالبي، ج2، ط1، دار مكتبة الشركة الجزائرية، د س، ص549.

[2]- الشريعة النبوية المحمدية، السنة الأولى، العدد 6، قسنطينة يوم الاثنين 29 ربيع الثاني 1352، ص8.

[3]- خير الدين، المذكرات: ج 2، د ط، دار حلب، الجزائر، 1985م، ص 118.

ومثله كتبت الصراط بيانا أمضاه أربعمائة من جميع طبقات الأمة من أهل العلم وأهل الفلاحة وأهل الصناعة وأهل التجارة وغيرهم، يقول أصحابه: "إنّ سكان بلدة باتنة وأحوازها الواضعين إمضاءاتهم أسفله يشكرون العمل الصالح الذي قامت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لرفع حالة إخوانهم المسلمين من الجهة الأدبية والأخلاقية، والذي هو روح الفكرة الفرنسية ويوجهون لرئيس الجمعية المذكورة الوجيه الأستاذ عبد الحميد بن باديس احترامهم ويشكرون سعيه ويضمنون له الاتحاد معه في هذا العمل".[1]

مع العلم أن باتنة في ذلك الحين كانت معقلا للطرق الصوفية، وخصوصا الطريقة الرحمانية، وكان دورها لا يقل عن دور الطريقة العلاوية أو الرحمانية في بلاد القبائل، سواء من الناحية العلمية أو الناحية السياسية والعسكرية.

وقد كان لهذا الشحن الطائفي آثاره الخطيرة على وحدة المجتمع الجزائري، وعلى تسامحه مع المخالف، وتعدى الأمر الكلام ليصل إلى العنف بمختلف أشكاله، كما سيأتي التوضيح في حينه. فقد كان في إمكان الجمعية في حال التوافق أن تكتسب الكثير من المواقع المهمة والطاقات التي تستطيع من خلالها أن تؤدي رسالتها، وأن تصل إلى أكبر عدد من الجزائريين، لكنها للأسف فرطت فيها بناء على نظرتها الإقصائية.

وهناك بعض نماذج لما خسرته الجمعية، وخسره معها الشعب الجزائري من مكاسب وطاقات كان يمكن توظيفها في التثقيف والتهذيب والإصلاح، وفي المواجهة مع الاستعمار الفرنسي، لكنه بسبب التسرع في المواقف تحولت إلى أدوات للصراع ولا يمكن تعداد المكاسب التي كان يمكن للجمعية أن تستفيد منها في خدمة هدفها الإصلاحي، والتي حال بينها وبين تحقيقها ما حصل من شقاق:

-من باب المثال على الناحية الإعلامية التي كان لها تأثير كبير في توجيه الرأي العام في الصالح العام. ولعل أحسن مثال على هذه الناحية ذلك الشقاق الذي حصل بين الجمعية "وجريدة النجاح" باعتبار أن صاحبها كان من أبناء الطرق الصوفية[2]، ولذلك تخلت عن دعمها للجمعية بعد أن ناصرتها في بداية تأسيسها، بل تحولت إلى مواجهتها والصراع معها.

مع العلم أنها أتاحت المجال لابن باديس لنشر مقالاته الإصلاحية مع علمها بتوجهه الفكري قبل أن يحصل ما حصل، فقد كان يكتب فيها تحت عنوان "خطرات الأسبوع" وهي فقرات مختصرة طرح فيها الكثير من القضايا الإصلاحية، واستمرت لأكثر من سنتين، وكان يمضي فيها باسم مستعار هو "العبسي".

وهناك الكثير من المثقفين وغيرهم من أبناء الزوايا أو من المؤيدين لها، والذين انقلبوا على الجمعية بمجرد إعلان صراعها مع الطرق الصوفية، وكمثال على ذلك (مامي إسماعيل رئيس تحرير جريدة النجاح، أثنى عليه ابن باديس وكان يستفيد منه، كما قال الشيخ أحمد حماني: "كان يحب الشيخ ابن باديس "يقصد مامى " ويأتيه بأسرار الإدارة الفرنسية ويطلعه على بعض ما يدبر من مكائد، وهذا ما جعله لا يقطع صلته به"[3]. يبدو أنه كان للجمعية عيون داخل الإدارة الفرنسية، وربما هذا ما يدلل على نجاحها في

[1] – جريدة الصراط العدد الخامس، قسنطينة يوم الاثنين 26 جمادى الثانية 1352هـ، الموافق ل 16 أكتوبر 1933،

[2] – أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكافة للسطو بالإمام عبد الحميد ابن باديس، ج 1، د ط، د ت، ص 128.

[3] – المرجع نفسه، ص 128.

اسقاط الكثير من المكائد قبل وقوعها/ كما يفسر حقيقة ما كانت تشتكي الجمعية من مؤامرات كانت تحاك في السر من الطرقيين بدعم من السلطات الفرنسية.

وكان هو أيضا من مؤيدي تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إذ كتب مقالا حولها بعنوان "جمعية العلماء منة كبرى يجود بها القرن العشرون" وقال : "إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر" ويعني بذلك أن جمعية العلماء المسلمين هي عصا موسى التي تلتهم كل الجمعيات الشاذة، أو تقضي عليها لكنه بعد الذي حصل تراجع، وكان من الطبيعي أن يتراجع، فلا يمكن أن يظل على تأييده الجهة لا تريد إلا استئصاله.

صحيح أنّ هذا الصراع أثر على مسار الأحداث وأضاع الكثير من الجهد والمال والطاقات التي كان أولى بها أن تدخر ليوم المواجهة مع الاستعمار الفرنسي، لكن أولويات الجمعية هو ضمان تربية النشأ أولا ثم المواجهة مع الاستعمار ثانيا، ولكل اجتهاده وأولوياته.

لقد ترك هذا الصراع تركة كبيرة من المآسي والجراح وأضرّ بأكثر من طرف، ولم تسلم منه الأمة الجزائرية. وبالرغم مما حققته الجمعية من نجاح في حربها على البدع والمساهمة في التخلص من الرواسب الثقافية السلبية والبالية[1]، والتي في وقتها مثلت تحديا حقيقيا لجمعية العلماء

وكان مما أطال هذا الصراع وعمق الخلاف فيه الإدارة الاستعمارية، حيث سمحت به بل وغذته عبر تلك الصحف التي منحتها ترخيص العمل، اوكان من المفروض أن تهتم هذه الصحف وكتابها بتثقيف الجزائريين وقد وجه ابن باديس دعوة للصلح وتأسف على ما آل إليه حال الأمة الإسلامية جمعاء من السقوط المحسوس والانحدار في مهاوي الهوان والاحتقار، حتى لقد أصبحت مجمعا لكل نقيصة.[2] وهذا اعتراف صريح من شيخ الجمعية وكيف أثر هذا الخلاف سلبا على عمل الجمعية ونشاطها الدعوي والتربوي.

2-انعكسات الصراع على نشاط جمعية العلماء المسلمين: لقد ضيعت الجمعية العديد من المكاسب والطاقات نتيجة انشغالها بحربها على الطرقية، فمثلا تخلت عنها جريدة النجاح في بداية المشوار باعتبار أن صاحبها كان من أبناء الطرق الصوفية بعد أن ناصرتها في بداية تأسيسها، بل تحولت إلى مواجهتها والصراع معها، كما ضيعت الكثير من الطاقات من المثقفين وغيرهم من أبناء الزوايا أو المؤيدين لها والذين انقلبوا على الجمعية بمجرد إعلانها المواجهة مع الطرقيين.[3]

لقد كان الصراع بين الطرقية والجمعية سلاحا ذو حدين، فمن جهة إن الصراع كان غايته إعداد الفرد وتهذيب الأخلاق وتفعيلها واقعيا، لأن بناء العقيدة وتقويم السلوك الفردي والمجمعي، وعليه تتوقف كل حركة في تغيير والإصلاح على إعداد الفرد وفق

[1]- مالك بن نبي، مذكرات مالك بن نبي العفن، ت: نور الدين خندودي، ط1، ج1، دار الامة، 2007، ص 37.

[2]- شهاب، العدد 103، بتاريخ 10 جوان 1927 م، ص42.

[3]- نور الدين أبو لحية، جمعية علماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، د ج، ط2، دار الانوار، 1437هـ - 2016م، ص165

التصور الإسلامي، وهو ما يتطلب العناية بمختلف مكونات الإنسان بتزكية نفسه وتصحيح عقيدته وتقويم خلقه حتى يكون فردا نافعا وفعالا داخل مجتمعه وأمته الجزائرية ببعدها العربي والإسلامي.[1]

ومن جهة أخرى اتخذ الصراع جانبا سلبيا بما بعثه في المجتمع من مظاهر الفرقة والسجالات الذي بدأ من أجل غاية نبيلة هي إصلاح أوضاع المجتمع بدء بالدين وتهيأ لنهضة شاملة في شتى المجالات، لذلك هناك الكثير من الأطراف في كلا الجانبين قد حاولت التخفيف من حدة الصراع وفتح باب الحوار والتفاهم تجسيدا للروح العلمية واحتراما لاخلاقيات المناظرة الشريفة، فالشيخ علي البوديلمي دعا إلى تجاوز هذا الوضع بقوله: هيا لنقبر كل ما من شأنه أن يثير الضغائن بين المسلمين ونكون كالبنيان المرصوص، هيا بنا لندفع ذلك التيار الجارف الذي كاد يشتت شمل المسلمين الجزائريين ويفرق جمعهم في وقت اتحدت فيه جميع الشعوب، هيا بنا لنحيي في مجتمعنا العقائد الدينية الصحيحة والعوائد القومية العربية الإسلامية، فقد عشتم كثيرة وتوسعتم كثيرا وتمولتم مالا غزيرة.[2]

وهذه دعوة من متنوري الإصلاح إلى ردم الهوة بين الجانبين وتجنب الصراع ولم شمل المجتمع الجزائري وفق المنهج الإسلامي الصحيح القائم على القرآن والسنة النبوية المطهرة وسيرة السلف الصالح.

ثانيا: الاستعمار الفرنسي والصراع بين الطرقين والإصلاحيين من المستفيد؟:

1-الطرقيون وخدمة السياسة الفرنسية: لتصحيح الفكرة، بعض الطرقيين وليس كلهم، لقد أدرك الاحتلال الفرنسي مدى شدة تمسك الشعب الجزائري بالدين الإسلامي، وتأكد له أنه لن يساوم لا في دينه ولا في عرضه ولا في أرضه، وأن هذه المعادلة غير قابلة للانقسام، وأنها وحدة لا تتجزأ، وقد بدى هذا جليا من خلال استماتة الشعب في رد العدوان، وكفاحه من أجل الحفاظ على هويته وإسلامه، خصوصا وأن كل انتفاضة أو ثورة كان وقودها وطاقتها الدين الإسلامي، الذي حافظت عليه المساجد والزوايا والكتاتيب[3].

وعلى هذا الأساس عمدت السلطات الفرنسية إلى تطبيق سياسة تهدف إلى اضعاف تأثير الطرق الصوفية في المجتمع الجزائري وتحويلها عن أهدافها ومبادئها الأساسية، فباشرت بالسيطرة على كل المؤسسات الدينية، وكانت أولى المؤسسات التي سعى الاستعمار للسيطرة عليها – بعد مؤسسة المسجد – مؤسسة الأوقاف وأملاكها، فأصدر قرارا بمقتضاه تم الاستيلاء على جميع أملاك الأوقاف في المناطق التي احتلها، ثم دعمه بقرار آخر يخول له الحق والشرعية لنفسه في أن يتصرف في أملاكها بالتأجير والكراء والمصادرة والتمليك وغير ذلك، و نتيجة ذلك لم يبق مدينة الجزائر وحدها سوى أربعة مساجد من بين 160 مسجدا و زاوية، حولت كلها إلى كنائس ومراكز شرطة، وإصطبلات للجيوش، فاختفت الكثير من المساجد والزوايا و الكتاتيب القرآنية ومدارس التعليم الإسلامي، التي يصرح في شنأها "دي توكفيل" مبينا فعلهم الشنيع في

[1]- نور الدين أبو لحية، المرجع السابق، ص166.

[2]- المرجع نفسه، ص166.

[3]- مالك بن نبي، من أجل التغيير، ط 1، د ج، دار الفكر، سوريا، 1995م، ص 48.

حق الأوقاف، فيقول: "لقد وضعنا أيدينا في كل مكان على هذه الأملاك الأوقاف)، ثم وجهناها غير الوجهة التي كانت تستعمل في الماضي، لقد عطلنا المؤسسات الخيرية، وهكذا تركنا المدارس تموت، والندوات العلمية تندثر"[1].

وأحكمت سلطات الاحتلال قبضتها على المساجد و الزوايا والكتاتيب ومن يديرها، حتى لا تبقى مراكز إشعاع وجمع شمل الأمة وتوجيه لها، ورباطها في جهاد الاستعمار، ولتعطيل دورها أسندت إدارة تسيير المساجد والكتاتيب إلى أفراد يخضعون للإدارة الاستعمارية، ويخدمون سياستها، ولم يكن في الغالب بمقدور إمام أو مدرس على إمامة الناس وتعليم الدين ولغته إلا إذا أظهر ولاء كبيرا أو طاعة عمياء للإدارة الفرنسية، و في هذا يقول مدير مكتب الشؤون الإسلامية في الجزائر: "لقد أذللنا الدين الإسلامي، وبلغ الأمر أن لا يعين إمام وفقيه، إلا إذا شارك في أعمال الجوسسة الفرنسية، ثم عليه كي يرتقي في الدرجة أن يثبت قدرا كبيرا من الحماسة والإخلاص، للإدارة الفرنسية"[2]. وهو ما أفسح الطريق أمام المتطفلين وأشباههم الى تقديم أنفسهم مكان العلماء، وقد جلسوا للدرس والصلاة والافتاء ولكم أن تتصورا كيف جثووا على قلوب العامة من الناس وكيف تمكنوا من عقولهم فغسلوها وسيطروا على نفوسهم بما زرعوا فيهم من البدع والضلال والخرافات والأباطيل، ... وغير ذلك مما يتنافى والإسلام الصحيح.

وكان نتيجة هذه السياسة التي مارسها الاستعمار أن آل وضع المجتمع إلى تخلف حضاري عام وشامل، فاتسم الجانب الديني للمجتمع الجزائري بطابع الوراثة والتقليد والجمود، وزاد ظلال المنتسبين للطرق الصوفية بولائهم وتأييدهم لشيوخها، و تمسكهم بتعاليمها، والذين استغلتهم سلطات الاحتلال لنشر البدع، والمعتقدات الفاسدة التي تزيد من قابلية الشعب للاستعمار[3] .

فشاعت في أوساط المجتمع ظاهرة زيارة شيوخ الطرق، والعباد الصالحين الأحياء منهم والأموات، للتبرك بم وطلب الحوائج منهم، وإقامة الولائم المكلفة حول أضرحتهم، وسط مواكب بشرية تأتي من كل حدب وصوب، لتحقق لها ما عجزوا عن تحقيقه، – بعجزهم وكسلهم وتخلفهم وقابليتهم للاستعمار في عالم الأسباب والمسببات وسرعة ارتباط الناس بالأوهام والخرافات، ولم تكن الأمية منتشرة في أوساط العامة فقط، بل حتى عند شيوخ الطرقية وموردیها، ممن كانوا يحملون القيم الفاسدة ويبشرون بالتدين الخرافي[4].

وكان إقامة هذه الولائم المكلفة في مجتمع يعيش الفقر المدقع وانتشار الأمراض المستعصية والمعدية والأمية المتفشية في أوساطه، وهو في الكثير من الأحيان أيّ الجزائري المعدم، لا يجد حرجا في تدبير ما يلزم للوليمة ولو على حساب الكثير من أولوياته وحاجياته، ما يثير فعلا الدهشة والاستغراب.

وهكذا وصلت الحياة الدينية والاجتماعية على يد الطرقية ورجالها، إلى صورة باهتة من التعاليم الضالة، توجه شعبا إلى طريق الجهل، وتبعده عن مشاكله وآماله، وتنسيه تعسف الاستعمار في حقه، وكان على حركة عبد الحميد بن باديس الإصلاحية الجهادية أن تتحمل عبئ إنقاذ الإسلام، وتجديد أمره وإحيائه، بعد أن صار غريبا عن دينه وهو في داره وأرضه، وكان على الحركة أن تواجه

[1] – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، 1900–1930 م، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص ص: 62– 63.
[2] – بسام العسيلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، ط2، دار النفائس، بيروت، 1983م، ص 65.
[3] – مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 49.
[4] – المرجع نفسه، ص 49.

أضدادا أشداء ما بين مستعمر صليبي حقود، و طرقي متعصب، و شباب متفرنج منحل، و أذناب من الموظفين الدينيين [1]، وأن تجابه أوضاعا مزرية تعيشها الأمة في جميع جوانب حياها في ظل استعمارا استيطاني، و يعترف الإمام ابن باديس أن الناس قبل نجاح حركة الإصلاح كانوا يظنون أن الإسلام ليس الا ما تصوره الطرق الصوفية.

وقد كتب "ابن حبيليس" الذي كان موظفا لدى الادارة الفرنسية في جريدة "لورابيل"، "Le Rappel" مقالا سنة 1941 يصف فيه الحالة الثقافية والتعليمية للمجتمع الجزائري خلال الثلث الأول من القرن العشرين تحت عنوان: "اكتراث المعسكر الآخر" هاجم فيه المرابطين فقال: " أن الجزائر قد بلغت من الانحطاط درجة لم يسبق لها مثيل في الميدان الفكري والثقافي، ووصل بهما الحال إلى الركود التام أو الموت الحتمي، فالتعليم العالي الذي كان مرتكزا في الزوايا لم يتغير منذ قرن من الزمن، وجهل اللغة العربية قد نمت جذوره خاصة في الأرياف، ولم يسبق للوطن الجزائري أن غاص في ظلام الجهل مثلما وصل اليه في العهد الأخير"[2].

هذا وصف جيد ودقيق، ولكن لم يقل صاحب المقال من المتسبب في الوصل الى العهد الأخير كما سماه، وهذا التراجع والانحطاط فهل هي الزوايا والطرق وشيوخها من المرابطين، أم الاستعمار الفرنسي الذي عطل مسار التطور الطبيعي للأمة الجزائرية وقطع الصلة بين حاضرها وماضيها؟ وكان صاحب المقال أن يكون أكثر عدلا وإنصافا وأن يقول كلمة حق في المرابطين كونهم حفظوا لنا القران الكريم بتحفيظه وبهذا حفظوا لنا هذا الدين وحفظت معه الهوية والتراث.

لقد تدهورت الحياة الدينية والاجتماعية في الجزائر خلال الثلث الأول من القرن العشرين، وتجلى ذلك حسب رأي ابن باديس في تراجع مظاهر التدين، وفي الحياة الاجتماعية المتصلة بحياة الناس من حيث العمل والكسب، والثقافة والاقتصاد، فالغنى أصبح مرتبطا بالمستعمرين، والفاقة والبؤس للجزائريين، وقد علل ابن باديس ذلك الانحطاط إلى تأثير بعض الطرق الصوفية، وانتشار الجهل و الفقر، وتفرق الأمة، وازدياد الاستعباد[3] .

إن وصف ابن باديس لحالة الجزائر الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين كان صورة واضحة لجمود الطرق الصوفية، وتراجع الثقافة العربية الإسلامية، كنتيجة للسياسة الاستعمارية التي حولت بعض الزوايا ورجالها إلى خدمة الاستعمار، وتشويه صورة الاسلام، واستغلال الجزائريين وعزلهم عن باقي الأمم وقطع صلتهم بالتطور الحضاري.

2-الاستمعار الفرنسي في مواجهة الإصلاحيين: وهنا تقاطعت مصلحة الطرقيين مع الاستعمار الفرنسي في مواجهة العلماء، فلقد خشيت السلطات الاستعمارية من نشاط الجمعية، خاصة وأن مدارسها الحرة تفوقت في ميدان التعليم على

[1] – محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903-1931، م1، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978 م، ص 92.

[2] – عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، ط 5، د ج، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2013، ص 177.

[3] – المرجع نفسه، ص 180.

المدارس الحكومية، وبدأت تخرج شبان يخلقون عن هؤلاء الذين أرادت الحكومية إعدادهم للإمامة، والقضاء، وهذا دفعها للقضاء عليها ومحاربتها، وذلك بمعاونة رمال الطرق الصوفية المناوئة لها والذين كانوا عملاء لها.[1]

وقد يعود نجاح العلماء في جلب الكثير من المدرسين وطلبة العلم لما تقدمه من تعليم يتماشى ورح العصر رغم قلة الإمكانيات والوسائل، كما ساعدها على ذلك ما تقدمه من حوافز مالية وإعانات للطلب والمدرسين على حد سواء، أضف الى ذلك تميزها والتزامها منهج إسلامي صحيح وواضح، وهذا ما زاد في قربها من عامة الناس ومنحها قاعدة شعبية عريضة خاصة في المدن.

وهذه المكاسب هو ما جنب النتائج الكارثية لحرب فرنسا والطرقيين على جمعية العلماء المسلمين منذ 1933، ، والتي كانت تعتبر مدارس الجمعية "خلايا سياسية، والإسلام الذي يمارسه العلماء مدرسية حقيقية للوطنية"[2] كما ذكر سعد الله وهو يتحدث عن تقرير أمني فرنسي، وقد وأمطرت هذه الجمعية بوابل من القرارات، والإجراءات التعسفية الظالمة"[3]

وراحت الإدارة الفرنسية تضع العراقيل أمامها، هذا ما جعل المؤرخ شارل أندريه جوليان يقول كانت الإدارة تفعل ذلك لأنها شعرت أن الجمعية تمثل خطرا كبيرا على الوجود الفرنسي بالجزائر، حيث أغلقت بعض المدارس الحرة، وعمدت الى توقيف جريدة السنة والصراط، ثم الشريعة المطهرة، محاولة إجهاض المساعي والمجهودات التي قامت بها جمعية العلماء، من أجل خلق وعي سياسي، وبعث نهضة ثقافية إسلامية بالجزائر.[4]

وفي مقابل ذلك لم تورد المصادر المعتمدة ما يشير الى إقدام الإدارة الفرنسية على تقييد عمل أو نشاط الزوايا والطرق في هذه الفترة من البحث، والجميع يعرف ويقرأ عن حرب فرنسا على الزوايا والمرابطين في بداية الاحتلال لما كنت تمثله من روح الأمة المقاومة ضد الاحتلال.

كما أصدرت مراسيم تجعل الوعظ والإرشاد حكرا على الموظفين بالإدارة الفرنسية، وفي ربيع 1938 أصدر الحاكم العام منشورا موجها إلى كل رؤساء الإدارات، يأمرهم بإلقاء القبض على كل طالب تشوبه شائبة من جمعية العلماء، وقيامه بالدعاية لها في تجواله بمناطقهم.

وقد نصّ مرسوم بيتي "وزير الداخلية الفرنسي" الصادر في 5 أفريل 1935، على السجن ما بين شهرين ومطفين، على كل من يقاوم اليادة الفرنسية في المستعمرات، ويقف ضد تطبيق القوانين والمراسيم والتعليمات وتنفيذ أوامر السلطات.[5]

ويعتبر مرسوم رئيس الوزراء ووزير الداخلية لفرنسا – شوطون يوم 8 مارس 1938 فريدا من نوعه لأنه قضى بان كل جريدة تصدرها جمعية العلماء باللغة العربية في الجزائر في المستقبل فهي معطلة سلفا، ومرسومه الأخير الصادر في نفس اليوم باعتبار اللغة

[1] – أحد بحي: المغرب الكبير المعاصر. ج4، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981، من 219.
[2] – بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، دار المعرفة باب الواد، الجزائر، 2007، ص 374.
[3] – عثمان سعدي: المرجع السابق، ص 692
[4] – المصدر نفسه، ص 157.
[5] – المصدر نفسه، ص158.

العربية لغة أجنبية في الجزائر، ومنع تعليمها أو تحديد منع افتتاح المدارس العربية بلا رخصة من الإدارة الفرنسية [1] ، وترفض هذه منح الرخصة للمعلمين التابعين لجمعية العلماء، وتوالت الأحداث وارتفعت أصوات دعاة الإدماج، فقال بن باديس قصيدته المشهورة التي مطلعها[2]

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبية ينتسب

من قال حاد عن أصله أو قتل مات فقد كذب

أو رام إدماجا له رام المحال من الطلب

ولم يقل أحد في حينه مثل هذه الأبيات، التي جمع فيها عناصر الهوية الوطنية ومازالت الى الآن تحفظها وتفتخر بها الأجيال.

كما أوقفت الإدارة نشاط بن باديس في مدينة قسنطينة إلى أن وافته المنية 16/04/1940، ونفي خليفته الشيخ البشير الإبراهيمي إلى أفقر، وبقي فيها حتى دخول الحلفاء الجزائر، كما قبضت على العمودي صاحب صحيفة الدفاع، وفرحات دراجي داعية الجمعية بفرنسا، ووافقت عن صدور البصائر، والشهاب في نهاية 1939. [3]

وكان نشاط علماء الجمعية يزداد أو يأخذ شكلا نظاميا أكثر مما كانت الإدارة الفرنسية تتوقعه، فبدأت تصدر القوانين والإجراءات الإدارية لتعرقل نشاط الجمعية، وتزرع في نفوس أعضائها الفشل.[4]

لكن هذا لم يحدث وكانت بالعكس كلما ضغطت السلطات الفرنسية على العلماء زاد نشاطهم وتمسكهم بمبادئهم، وهذا دليل على تحدي وصمود العلماء في وجه الإستعمار[5].

وهذا الصمود هو الذي أدى بالعلماء لكسب المعركة ضد الطرقيين وأيضا نجاحهم في تحقيق الكثير من أهدافهم رغم الكيد والقمع الفرنسي.

[1] – بشير بلاح، المرجع السابق، ص 374-375.

[2] – يحي بوعزيز: سياسي التسلط الاستعمارية والحركة الوذمية الجزائرية 1830، د ط، د ج، ديوان المطبوعات الجامعية، د س، ص 299.

[3] – عثمان سعدي: المرجع السابق، ص 692.

[4] – المرجع نفسه، ص 692.

[5] – رحال الزبيري: الامام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية (1889-1940)، د ط، دار الهدى الجزائر، د س، ص72.

خلاصة:

مع نهاية هذا الفصل يمكن استنتاج الحقائق التاريخية التالية:

يعتبر الصراع بين الطرق الصوفية وجمعية العلماء المسلمين من أخطر الفترات التي عاشتها الجمعية وكادت أن تؤدي بها الى الفناء أو على الأقل تصبح عديمة التأثير، وكان دخولها صراعا حقيقيا مع الطرقيين قرارا شجاعا وخطيرا كان له تداعياته على الطرفين وعلى مسارهما ونشاطهما، فهو شجاع وخطير لأن هذه المعركة التي مهدت لها الجمعية درات رحاها في ساحة الطرقيين وفي مناطق نفوذهم؛ كما أنّ هذا القرار أثر كثيرا على العلاقة بين الطرفين وعمق بينهما الشقاف والخلاف وهو ما استفادت منه فرنسا التي احسنت اللعب مع جميع الأطراف.

استطاعت جمعية العلماء اخذ زمام المبادرة وحسمت الى حدّ ما المعركة ولكن فقط في المدن الكبرى أين التمدن والانفتاح، أما في الأرياف أين الحاضنة الكبرى للمرابطين والزوايا وفي الأرياف يقبع التعصب والجهل وضعف التعليم ان لم يكن منعدما فقد خلت الساحة من العلماء ومؤسساتهم الا قليلا ومثال ذلك منطقة القبائل وباقي الأرياف والمداشر داخل التراب الوطني.

وأيضا كان من نتائج هذا الصراع ارتفاع مستوى الجدل والتنافس بين الطرفين لكسب ود العامة، وهذا مما أدى الى انزلاق الوضع الى حد الخطر ولولا فشل محاولة اغتيال رئيس الجمعية الشيخ عبد الحميد بن باديس لكانت الفتنة اتسعت واستحكمت وربما الى درجة يصعب التحكم فيها، أو كان من الممكن أن يقبر مشروع الجمعية الى الأبد، أو في أحسن الظروف تتمة المشروع من طرف المؤسسين، والدليل على ذلك لم يتوقف نشاط الجمعية مع وفاة مؤسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمة الله عليه، فقد واصل نائبة الشيخ البشير الإبراهيمي المسار بنفس العزيمة والإصرار.

كما استغل الاستعمار الفرنسي الحفرة التي بين الطرفين وزاد الحفر في داخلها محاولا تعميقها قدر المستطاع، فراحة الاستعمار هو رئيته الطرفين يتقاتلان ويستنزفان بعضهما البعض وفي هذا راحته واستقراره، ولولا الحكمة والتبصر من المتنورين من الطرفين لكانت هناك مآسي وكوراث لا نتيجة ترجى من ورائها الى إطالة الاستعمار.

هذا وبعد أن بانت نتائج المعركة بدأت ترجح للعلماء، عمد الاستعمار الفرنسي الى التضييق على حركه جمعية علماء المسلمين بعد أن تيقن من خطورة مشروعها الوطني على فرنسا، رغم ان هذه الأخيرة ليست بحركة سياسية وأنها ذات حركة بأبعاد تربوية وإصلاحية واجتماعية في الأساس.

وفي الأخير يمكن القول أن الجمعية والطرقيين انتهت الى التعايش ولو على مضض، رغم الكثير من الخلاف والصراع، وكان من الممكن أن يعمل كل طرف لأجل وطنه ولأجل أمته وشعبه ونصرة قضيته الأهم وهي تطهير البلاد من الاستعمار الفرنسي.

خاتمة

خاتمة:

في نهاية الدراسة الذي يتناول الكشف عن حقيقة الصراع بين الطرقيين والإصلاحيين، وبعد البحث في المصادر المتاحة والغنية بمادتها العلمية والتاريخية وخاصة ما وصل منها من الجرائد التي مثلت لسان حال كل فريق. وقد تم التوصّل الى مجموعة من النتائج وهي كالآتي:

-تعتبر الطرق الصوفية والإصلاحيين من جمعية العلماء من أهم المؤسسات الثقافية والعلمية والدينية الجزائرية التي عملت على تأطير المجتمع دينيا وثقافيا وتعليميا وفكريا، وبالتالي ساهمت في حفظ التراث والهوية الوطنية ببعدها العربي والإسلامي.

-لعبت الطرق الصوفية التي كانت سباقة للظهور في الجزائر وكانت أكثر ارتباطا بالجزائريين وأكثر تغلغلا في المدن والأرياف، دوراً نشطاً في التاريخ السياسي والثقافي للجزائر والتي من وأهمها القادرية والرحمانية والتيجانية...

-إنّ ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر لم يكن من قبيل الصدفة، بل نتاج تظافر مجموعة من العوامل والجهود لأجل النهوض بالوضع الثقافي والمعاشي والتعليمي المتردي والمزري التي دفعت بمجموعة من العلماء بالعمل على تأسيس جمعية العلماء المسلمين وهي من خلال شعارها تعتبر مؤسسه جامعة لكل من آمن بالإسلام كدين وكنموذج ومشروع حضاري يراعي الخصوصية الجزائرية ويمكن تبنيه والبناء عليه، وهي مفتوحة أمام كل العلماء المؤمنين بإعادة بعث النهضة من جديد التي تقودنا للاستقلال التام.

-هناك نوع من الهمّ الجامع بين الطرقيين والإصلاحيين حتى لو اختلفوا في الوسائل، ويتمثل في الرغبة بالإصلاح والتغيير، وهو وجه من أوجه التوافق بينهما، فقد اهتم كل منهما بالدعوة الى الالتزام الديني والإصلاح التربوي وحتى الاجتماعي. وكانوا قلقون من الاستعمار الفرنسي ويعملون على مقاومته أو التخفيف من آثاره السلبية المدمرة وهو أضعف الايمان.

-أيضا كان هناك نوع من التوافق في النأي بأنفسهم عن السياسة حتى لا يثيروا حساسية الاستعمار، فكانت أولوياتهم ونشاطهم مركزا على التعليم الديني والتربية الإسلامية، وقد انفردت الجمعية هنا بتبني مشروع تعليمي منفتح وعصري جمعت فيه بين العلوم النقلية والعقلية خلافا للزوايا والطرقيين والكتاتيب التي عرفت بتعليمها التقليدي من حيث الوسائل والبرامج وحتى الذهنيات.

-يعتبر مشروع الجمعية الإصلاحي قريب من نظيريا في المشرق، فهو مشروع ثوري وثري، أكثر تجديدا وتنظيما، وأكثر ارتباطا بالواقع واللحظة التارخية، وهو ما أثار حفيظة الطرقيين التقليدين والمتمسكين بالمأثور من دون تجديد ولا إعمال للعقل

-بدأت العلاقة تسوء وتتدوهر بين الجانبين منذ عام 1926، وهو التاريخ الذي يروي محاولة حادثة اغتيال الشيخ عبد الحميد بن باديس، والتي حدثت بعد الأطروحة العلمية التي كتبت للرد على الشيخ ابن عليوة في رسالته التي اتسمت بسوء الأدب مع النبي ﷺ، وفي الحقيقة هو تجاوز مرفوض وينم عن شيوع فكر متطرف يدعو الى العبث بالمقدسات واستهدافها بشكل علني وصريح، وهنا تتقاطع المصلحة الفرنسية مع مصلحة الطرقيين واستهداف النبي عليه الصلاة والسلام هو استهداف لسنته وهي بمنزلة المصدر الثاني للتشريع، والتجريح فيها هو بداية التجريح والعبث بالقرآن والعبث به عبث بالإسلام وهذا الأخير يمثل الحصن المنيع الذي منع سقوط

الجزائر في حضن فرنسا ولو حدث هذا لكانت الجزائرية فرنسية للأبد. وبالتالي من حق العلماء الدفاع عن المقدسات وتطهير الدين من المندسين وأشباه المتدينين من الطرقيين وغيرهم والعمل على توجيه الأمه الى الدين الصحيح وحثها على الالتزام بالدين والعمل الجاد والاخذ بالاسباب وهو السبيل الى الخلاص، وهذا بعيدا عن ما ورثه الشعب أو ورثوه إياه من الالتزام بقشور الدين، والخلود الى الكسل والتواكل وانتظار المنقذ، والايمان بالكرامات والتقرب من المرابطين والتوسل بالاموات الذي عدوه المتطفلين على الدين من صالح الاعمال.

-انفصل الطورقيون عن الجمعية مبكرا بسبب تضارب الأفكار والصراع على الزعامات والنفوذ، فمثلا أسس الطرقيون أو اتباعهم جمعية علماء السنة بعد مغادرتهم للجمعية وهو اسم قريب من الأصل مضاف اليه اسم السنة ليبينوا أنهم من الفرقة الناجية، وانّ غيرهم مبتدع ضالّ، ومن هنا احتدم الجدل حول الإسلام الصحيح، وكان على الطرفين قرع الحجة بالحجة والدليل في مقابل الدليل، وقد انتصر في الأخير من كان قوي الهمة وقوي المنطق والحجة. وقد دل هذا الصراع والجدل على روح المنافسة والاجتهاد وخلف وراءه ليس مصادر تاريخية فحسب وإنما تراثا من الأدب والشعر والذخائر النفسية، وهي شاهدة على حياة خصبة عكس ما يروج له الاستعمار والمستشرقون أو من سار في ركبهم، من أنها فترة عمّها الجفاف والشحّ ليس فيها ما أكل ولا عصير، وهذا يدل أيضا على أن الأمة تحمل في جيناتها روح النهضة والتجديد.

يعتبر الصراع حول القضايا العقائدية من أهم أسبابه وأقواها، خاصة وان الشعب معروف بتديّنه الشديد وميله وقربه من كل حامل لهذا الدين ومتعمق فيه، والطريق الموصلة الى قلبه وجيبه وصوته وكل مالديه، وبالتالي اعتبرت الجمعية نفسها المحارب الأول للطرق الصوفية وخصمها اللدود نتيجة لإسرافهم في الغلو في هذا الدين وإغراقه بالخرافات، وانتشار السحر والشعوذة...، ومن ناحية أخرى تحزبت الطرق الصوفية للدفاع عن وجودها وهي لها من الإمكانات ولها من الاتباع والدعم الكثير، خصوصا وأنّها لاقت دعما فرنسيا ليس بقليل، وهذا بحجة صلتهم التاريخية بالعانة والخاصة من الناس، وان لهم تاريخا مشرفا في الدفاع عن الامة ومقدساتها منذ أن حل الترك الى دخول الاستعمار، وقد تحملت العبئ الكبير، وأنّهم لعبوا دورا سياسيا في ملأ الفراغ الذي تركه تراجع الدول الموحدية وسقوطها وحتى إبان العهد الفرنسي أين تنتشر الطرقية في الأرياف وتقوم هناك بواجب تأطير هذا الشعب في نظام خاص هو قبلي ولكن مع رابط ديني له دور مهم وكبير، فهو يحفظ للقبيلة التي هي جزء من الأمه خصوصيتها وعاداتها وتقاليدها العربية الإسلامية كتحفيظ القرآن وترسيخ العمل بمكارم الأخلاق من كرم وعفة ...وفي هذا لا يجادل إلا مكابر أو ناكر، فالصوفية والعلماء وان اختلفوا فان وأن أصولهم ومرجعيتهم إسلامية.

-اتّخذت الأساليب والجمعيات وسائل الصحافة للتعريف والتعبير عن أنفسهم خاصة العلماء فهم ليسوا معروفين كالطرقيين والمرابطين والقارئ في هذه المقالات، يلحظ ذلك/كما يلحظ ما وصل اليه الأمر من حدة الخلاف الذي وصل إلى حد التشهير.

-لعب الاستعمار الفرنسي دورًا رئيسيًا في تأجيج روح الصراع لأنّ الاختلاف والفرقة يخدم مصالحه، فهو يشغل العلماء عن الاهتمام بالقضايا الأساسية والمهمة.

-عملت الجمعية إلى محاربة الطرقيين من عدة نواحٍ، حيث تنتقد علاقتها بالاستعمار، وتكشف سرّ حصولهم على الكثير من الامتيازات التي منها فتح التوظيف أمامهم في المناصب التي تشمل القضاء والامامة...

-الصراع بين الطرق الصوفية وجمعية علماء المسلمين لم يكن كله شرّا بل كان فيه الكثير من الخير، لأنه كشف المحظور من أسرار الطرقيين وفضح مخططات الفرنسيين الرامية الى تجهيل هذا الشعب وإبعاده عن واقعه المأزوم وكذا فساد ما يلقنوه من معتقدات لا تمت الى الدين بأي صلة، وكان على الجمعية العمل على محو هذا الجهل ومحاربة الأمية أولا ثم تلقين الأمه صحيح الدين ثانيا.

-انتهت الطرق الصوفية مع العلماء الى التعايش بعد الكثير من الخصام والعبث والمشاحنات ولو على مضض.

- وفي الأخير لقد عمل الاستعمار الفرنسي على تقييد نشاط جمعية العلماء المسلمين رغم أن الأخيرة ليست حركة سياسية، لأنه أدرك غايتها البعيدة المتمثلة في إعداد جيل متعلم ومثقف مرتبط بقضاياه ومعتز بدينه وعروبته ووطنه، وهذا أول العمل لخوض معركة التحرير ضدّ الاستعمار الفرنسي، وهذا ما يفرق بين الطرقيين والإصلاحيين المتنورين من جمعية علماء المسلمين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن:

- المصادر:

1. الإبراهيمي، ج1، ط1، لبنان، دار الغرب الإسلامي 1997 م.
2. ابن باديس، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج3، الجزائر، مطبوعات الشؤون الدينية والأوقاف، 2005م
3. البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام مُحَمَّد البشير الإبراهيمي 1939- 1940 م، ج ت، أحمد طالب
4. البشير الابراهيمي، الطرق الصوفية، ط1، مكتبة الرضوان، الجزائر، 2008
5. بوعزيز يحي: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية
6. توفيق احمد المدني، حياة الكفاح.
7. توفيق احمد المدني، هذه هي الجزائر، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م
8. الجوهري، كشف محبوب، ت، إسعاد الهادي قنديل، م ت امين عبد المجيد بودي، د ط، بيروت، دار النهضة العربية، 1980 م
9. دبوز على، اعلام الاصلاح في الجزائر، ج3، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1398هـ - 1978م.
10. رحال زبير،الإمام عبد الحميد بن باديس، رات،النهضة العلمية والفكرية 1989- 1940م، د ط، دار الهدى، الجزائر
11. روبيرأجرون شارل، التاريخ الجزائر المعاصرة
12. زكريا مفدي، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، الجزائر، مؤسسة مفدي زكريا، 2003.
13. سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنعقد بمركزها 1984م، الجزائر، دار المعرفة 2004
14. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986م.
15. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1930- 1945 م، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1992.
16. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1992م.
17. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1945م، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1998م
18. عبد الرحمن بن العقون، الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصرة (1920- 1936 م)، ج1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.

19. الفرقان ابن تيمية بن اولياء الرحمن واولياء الشيطان، د ط، قسنطينة، دار البعث، 1407هـ- 1987م.
20. قداش محفوظ، جزائر الجزائريين 1930- 1954 م
21. القشيري، الرسالة القشيرية، ط2، القاهرة، دار السلام، 1423هـ- 2003م
22. الميلي مبارك، رسالة الشرك ومظاهره، ط1، تع، أبي عبد الرحمن محمود، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، 2001م
23. نبي بن مالك، من اجل التغيير، ط1، دار الفكر، سوريا، 1995م
24. نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، د ج، ط2، المؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1400هـ - 1980م.

- المراجع:

1. ابو لحيه نور الدين، جمعية علماء المسلمين في الطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، ط1 ، بسكرة الجزائر، دار علي بن زيد، 2015م
2. بوصفصاف عبد الكريم، جمعية علماء المسلمين ودورهم في الحركة الوطنية الجزائرية.
3. حماني أحمد، فتاوى الشيخ العلامة أحمد حماني، م1، الطبعة الخاصة الجزائر، عالم المعرفة، 2013
4. حميدي ابو بكر الصديق، قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الاصلاحية 1920- 1954م، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
5. الخطيب احمد، جمعيه علماء المسلمين وآثارها الإصلاح في الجزائر، د ج، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
6. دبوز مُحَمَّد علي، اعلام الاصلاح في الجزائر من عام 1921- 1975م، ج1، الجزائر عالم المعرفة
7. دبوز مُحَمَّد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المبارك
8. رحال الزبير، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية 1889- 1940 م، د ط، دار الهدى، الجزائر.
9. شهبي عبد العزيز، زوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي الجزائر، الجزائر، وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع.
10. طالبي عمار، ابن باديس حياته وآثاره، ج1، د ط، دار ومكتبة الشركة الجزائرية 1968م.
11. العسيلي بسام، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائري، ط2، دار النفائس، بيروت، 1983م
12. علجت آيت مُحَمَّد الصالح، التسوق الجزائرية من 1920- 1955م، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007

13. مراد علي، الحركة الاصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925- 1940 م، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر
14. المرحوم علي، جمعيه علماء المسلمين الجزائريين: مرور خمسين عام على تأسيسها 1931-1981م
15. المطبقاني مازن صلاح، عبد الحميد بن باديس مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية، الجزائر، عالم الأفكار، 2013.
16. ناصر مُحَمَّد، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها، أعلامها من 1930- 1931م، م1، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر
17. يحي احمد، المغرب الكبير المعاصر، ج4، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981م.

- الجرائد:

1. النجاح:
2. الإخلاص، العدد الاول 14 ديسمبر 1932م
3. البصائر، العدد 16، السنة الاولى، 24/04/1936
4. البصائر، العدد 22، السنة الاولى، 7 جوان 1936 م
5. البلاغ الجزائر، العدد 155، 21 فيفري 1929م
6. الرشاد، العدد 2141، الجمعة 27 مايو 1938م
7. الشريعة النبوية المحمدية، السنة الأولى، العدد 6، قسنطينة الاثنين 29 ربيع الثاني 1352هـ.
8. الشهاب: العدد 103، بتاريخ 10 جوان 1927 م
9. الشهاب، ج4، 13 جوان 1937م
10. الشهاب، مج 14، ج7، سبتمبر 1938م
11. الشهاب، مج2، العدد 32، السنة (1926- 1927 م) تاريخ جوان 1926م
12. صحيفة الجحيم، ع 1، 30 مارس 1933م.
13. الصراط، العدد الخامس، قسنطينة، الاثنين 26 جمادي الثاني 1352هـ الموافق لـ 16 اكتوبر 1933م
- العدد 1590 م، الأحد 22 جويلية 1933 م.
- العدد 1852 م، الجمعة 22 مايو 1936م.
- العدد 1853 م، الأحد 2 ماي 1936م.
- العدد 1956م، الأحد 31 ماي 1937م.
- العدد 1957م، الأربعاء 10 جوان 1936 م.
- العدد 1958م، الأربعاء 1 فيفري 1937 م.

14. لسان الدين، العدد 11، 3 مارس 1923م
15. لسان الدين، العدد الأول، 2 جانفي 1932م
16. لسان الدين، العدد الأول، اثنين جانفي 1923 م
17. والبصائر، السنة الأولى، 07 فيفري 1936 م، العدد 6.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات	الصفحة
شكر وعرفان	
اهداء	
مقدّمة	أ – ب – ج - د
الفصل الأول: تاريخ نشأة التيارات الصوفية والإصلاحية في الجزائر (من القرن 16 الى بداية القرن 19م).	
تمهيد	01
أولا: تاريخ الطرق الصوفية في الجزائر	2 - 08
1- كلمة الصوفية التسمية والتعريف	02 - 03
2- نشأة وظهور الطرق الصوفية في العالم الإسلامي وانتقالها الى الجزائر	03 - 04
3- الطرق الصوفية المعاصرة في الجزائر ومشايخها	05 - 06
ثانيا: التيار الإصلاحي في الجزائر	9 – 21
1- ظروف وعوامل نشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر	09 - 10
2- الحركة الإصلاحية الجزائرية الفكرة والتسمية	11 – 12 – 13
3- تاريخ تأسيس وأهم أعضاء جمعية العلماء المسلمين 1931	14 – 15 – 16 – 17 – 18
أ- تأسيسها	15 -
ب- أهم أعضاءها	16 – 17 – 18
4- أهداف ومبادئ الجمعية	19 – 20 – 21
خلاصة	22
الفصل الثاني: الصراع بين الطرق الصوفية وجمعية علماء المسلمين الجزائريين.	
تمهيد	24
أولا: بوادر الصراع بين الطرقيين والاصلاحيين في الجزائر	25 – 36
1- مواطن الاختلاف والصراع	25 – 26 – 27
2- انحلال الطرق الصوفية وعلاقتها بالاحتلال الفرنسي	28 – 32
أ- الانحراف الطرقي	28 – 29 – 30
ب- العلاقة بين التصوف والاحتلال الفرنسي للجزائر	31 - 32
3- مبررات ودوافع التصادم والصراع	31 – 34
أ- الطرق الصوفية	31 – 32 - 33
ب- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	33 – 34
4- دور الاستعمار الفرنسي في توسيع فهوة الصراع بين الاصلاحيين والطرقيين	34 – 35 – 36
ثانيا: وسائل الصراع بين الطرفين الطرقي والإصلاحي	37 - 44
1- أساليب الطرق الصوفية في محاربة جمعية	37 – 44
أ- جمعية علماء السنة	37 – 38
ب- الجرائد	39 – 40 – 41 – 42 – 43 – 44
2- موقف جمعية علماء المسلمين من الطرق الصوفية عن طريق الجرائد	45 - 52
أ- موقف الجمعية	45

ب- الجرائد	46 – 47 – 48 – 49 – 50 – 51 - 52
ثالثا: مظاهر الصراع بين الطرفين	53 – 54 – 55 - 56
خلاصة	57
الفصل الثالث: انعكاسات الصراع بين الطرقيين والاصلاحيين على المشهد	
تمهيد	59
أولا: نتائج الخلاف بين الطرقيين والاصلاحيين	60 - 62
1- زيادة شدة الخلاف وتضييع المكاتب بين الطرفين	60 - 61
2- مخلفات الصراع	62
ثانيا: رد فعل الاستعمار الفرنسي حول الصراع بين الطرقين والإصلاحيين	63 - 68
1- الطرق الصوفية	63 - 64
2- جمعية علماء المسلمين	65 – 66
3- الشعب الجزائري	66 – 67 – 68
خلاصة	69
خاتمة	أ – ب
فهرس المحتويات	78 - 79